

تعليم المتعلم طريق التعليم

تأليف

الإمام برهان الإسلام الزرنوجي تلميذ صاحب الهداية

عنى بشرحه وضبط ألفاظه

عبد العزيز صقر شاهين

أحد علماء ومدتري الأزهر الشريف

يطابع من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بجمهورية
مصر : مصطفى محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالنَّبِيِّينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَنْبِيعِ الْعُلُومِ
وَالْحِكْمِ (وبعد) فَلَمَّا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجْتَنُونَ إِلَى
الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُونَ ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَثَمَرَاتِهِ يَحْرَمُونَ ، لَمَّا أَنَّهُمْ أَخْطَأُوا طَرِيقَهُ
وَتَرَكَوْا شَرَائِطَهُ ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ ضَلَّ ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُودَ ، قُلْ
أَوْجَلُ ، أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ ، عَلَى مَا رَأَيْتُ
فِي الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِيدِي أُولَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمِ ، رَجَاءُ الدُّعَاءِ لِي مِنَ
الرَّاغِبِينَ فِيهِ الْمُخْلِصِينَ ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ فِي يَوْمِ الدِّينِ ، بَعْدَ مَا اسْتَخَرْتُ
اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ ، وَسَمَّيْتُهُ « تَعْلِيمُ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ » وَجَعَلْتُهُ فُصُولًا :

((فُصْل)) فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَفَضْلِهِ ((فُصْل)) فِي النِّيَّةِ فِي حَالِ التَّعْلِيمِ

((فُصْل)) فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأُسْتَاذِ وَالشَّرِيكِ وَالثَّبَاتِ

((فصل)) فِي تَعْظِيمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ((فصل)) فِي الْجِدِّ وَالْمُواظَبَةِ وَالْهَمَّةِ

((فصل)) فِي بَدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيبِهِ وَقَدْرِهِ ((فصل)) فِي التَّوَكُّلِ

((فصل)) فِي وَقْتِ التَّحْصِيلِ ((فصل)) فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحَةِ

((فصل)) فِي الْإِسْتِفَادَةِ ((فصل)) فِي الْوَرَعِ حَالِ التَّعَلُّمِ

((فصل)) فِي مَا يُورِثُ الْحِفْظَ وَفِي مَا يُورِثُ النِّسيَانَ ((فصل)) فِي مَا يَجْلِبُ

الرِّزْقَ وَمَا يَمْنَعُهُ ، وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَمَا يَنْقُصُ . وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

— ﴿فصل في ماهية العلم والفقهِ وفضله﴾ —

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ

وَمُسْلِمَةٍ »

اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ

عِلْمِ الْحَالِ (١)

(١) علم الحال : يريد به الأحوال والشؤون التي لا بد تعرض للإنسان في

فإنه يقال : أفضل العلم علم الحال ، وأفضل العمل حفظ الحال . ويفترض
على المسلم طلب علم ما يقع له في حاله ، في أي حال كان ، فإنه لا بد له من
الصلاة فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة
ويجب عليه بقدر ما يؤدي به الواجب ، لأن ما يتوسل به إلى إقامة الفرض

حياته : كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات والمعاملات الضرورية ، وطرائق
السعي إلى الرزق والعمل لاكتساب ما يحفظ الرق ، فلاجل أن يكون مؤمناً
يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين ؛ ولاجل أن يعرف
ما فرضه الله عليه من واجبات ، يجب أن ينظر في علم الفقه ليعرف حدود ذلك
ولاجل أن يتعرف سبل السعي إلى الرزق والحصول على المعاش يجب أن يتعلم
من علوم الحياة ما يستطيع تعلمه

فالغرض الذي يرمى إليه الدين الإسلامي هو الوصول بالإنسان إلى السعادة
في الدنيا والآخرة .

قال الله عز وجل : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من
فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » سورة الجمعة : آية (١٠)
وجاء فيما رواه البيهقي من الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا ، وتعلموا من العربية
ما تعربون به كتاب الله ثم انتهوا . وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات
البر والبحر ثم انتهوا » .

يَكُونُ فَرَضًا ، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا . وَكَذَلِكَ
فِي الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ ، وَالْحَجِّ إِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ
فِي الْبَيْعِ إِنْ كَانَ يَتَجَرُّ

قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ : أَلَا تَصْنَفُ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ ؟
قَالَ : صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبَيْعِ ! يَعْنِي الزَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ
الشَّهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي التَّجَارَاتِ ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ
وَالْحَرَفِ . وَكُلٌّ مِنْ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ
فِيهِ . وَكَذَلِكَ يَفْتَرِضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ : مِنَ التَّوَكُّلِ ، وَالْإِنَابَةِ ،
وَالْحَشْيَةِ ، وَالرِّضَا ، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وَشَرَفُ الْعِلْمِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ، إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِيَةِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْخِصَالِ
سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ كَالشَّجَاعَةِ ، وَالْجُرْأَةِ ،
وَالْقُوَّةِ ، وَالْجُودِ ، وَالشَّفَقَةِ وَغَيْرِهَا سِوَى الْعِلْمِ ، وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) محمد بن الحسين : يصله بابي حنيفة صلة قرابة وهو من تلاميذ أبي يوسف

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَأَمَرَهُمُ بِالسُّجُودِ لَهُ (١) . وَإِنَّمَا شَرَفُ
 الْعِلْمِ لِكَوْنِهِ وَسَبِيلَهُ إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرَّةَ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ ، كَمَا قِيلَ لِلْمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :
 تَعَلَّمَ فَإِنَّ الْعِلْمَ زِينٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعُنْوَانٌ لِكُلِّ الْحَامِدِ (٢)
 وَكَانَ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبَحَ فِي بَحُورِ الْفَوَائِدِ (٣)
 تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفَقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٌ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعَدِلْ قَاصِدٌ (٤)
 هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِي إِلَى سَنَنِ الْهُدَى هُوَ الْحِصْنُ يَنْجِي مِنْ جَمِيعِ الشَّدَائِدِ (٥)

- (١) حيث قال عز وجل : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » سورة البقرة آية (٣١)
 وأمرهم بالسجود له في قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس » سورة البقرة آية (٣٤) . والسجود معناه الخضوع
 (٢) المحامد جمع محمدة بفتح الميمين مصدر هيمى بمعنى المحمودة : يعنى أن العلم دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وخصال محمودة
 (٣) أى فى الفوائد التى كالبحور كثرة وعظما وفيه إشارة إلى قوله تعالى : « وقل رب زدنى علما » سورة طه ، آية (١١٤)
 (٤) قاصد : عادل (٥) السنن بفتح السين : الطريق

فَإِنَّ فِتْنَهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ أَلْفِ عَابِدٍ (١)
 وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَخْلَاقِ نَحْوُ الْجُودِ وَالْبُخْلِ وَالْجَبْنِ وَالْجُرْأَةِ وَالتَّكْبَرِ
 وَالتَّوَاضُّعِ وَالْعِفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْوَى وَغَيْرِهَا ، فَإِنَّ السَّكْبَرَ وَالْبُخْلَ وَالْجَبْنَ
 وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ ، وَلَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بَعْلَهَا وَعِلْمُ مَا يُضَادُّهَا ،
 فَيُقْتَرَضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا . وَقَدْ صَنَّفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الشَّهِيدُ
 نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ ، وَنَعَمَ مَا صَنَّفَ ، فَيَجِبُ عَلَى
 كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا

وَأَمَّا سِنْفُ مَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَمُقْتَرَضٌ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ ، إِذَا
 قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْكُنْ فِي الْبَلَدَةِ مَنْ يَقُومُ

(١) ليس المراد بالآلف تحديد العدد ، بل بيان السكثرة . وإنما كان الفقيه
 المتورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من العابدين غير الفقهاء لأن الفقيه
 على بينة من الحلال والحرام فلا يستطيع الشيطان أن يضله ، أما العابد غير
 الفقيه فهو يعبد الله على غير بصيرة ، فمن الهين على الشيطان أن يورطه في الضلال
 دون أن يشعر ، ومن السهل أن يوقعه في حبال متشابكة من الشبه والشكوك

بِهَاشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي الْمَأْثِمِ ^(١) فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ وَيَجْسِرَ
أَهْلَ الْبَلَدَةِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ عِلْمَ مَا يَقَعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ
هُوَ بِمَنْزِلَةِ الطَّعَامِ لَا بُدَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ ^(٢) مِنْهُ ، وَعِلْمُ مَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرَضِ فَقَطْ . وَعِلْمُ النُّجُومِ ^(٣) بِمَنْزِلَةِ

(١) المأثم : الإثم والمعصية . وإنما اعتبر الجميع مشتركين في الإثم والمعصية
بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان لأنه مصالحة عامة ، فإذا انقطعت
حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان ، فحاجة المجموع إليها دائمة لا تنقطع .
(٢) يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للمرء
لا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية والدنيوية إلا به ، كما لا يستطيع أن يعيش
بدون طعام يقيم به أوده ويستد رمته ، فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعا على
كل فرد بعينه ، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان ، كما يحتاج الإنسان إلى
الدواء حين المرض ، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه ، ولكن
يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة
إليها ، فمثلا لا يجب على كل فرد أن يكون طبيا ، ولكن يجب أن يكون في كل
جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يمرض منهم

(٣) يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك بدليل قوله : « والهرب
من قضاء الله غير ممكن . . . » فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل الهرب من قضاء
الله ، وإنما هو علم يبحث في عالم السكواكب والأفلاك ، ونظام سيرها ، وقواعد

المرض فتعلمه حرام لأنه يضر ولا ينفع ، والحرب من قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن ، فينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء والتضرع وقراءة القرآن والصدقات الدافعة للبلاء ، ويسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ليصونه الله تعالى عن البلاء والآفات ، فإن من رزق الدعاء ، لم يحرم الإجابة ، فإن كان البلاء مقدرًا يصبه لا محالة ، لكن يسره الله عليه ، ويرزقه الصبر ببركة الدعاء اللهم إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فيجوز ذلك

الجاذبية بينها ، وأوقات شروقها وغروبها . . . وغير ذلك مما يحتاج إليه أشد الاحتياج في كثير من الشؤون الدينية والدنيوية ، ومن يطلع على أبحاث الفلاسكين الدقيقة لا يستعده إلا أن يخرج ساجداً خائفاً لهذا العالم الذي يهر العقول ويدهش الأبواب قال الله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبواب » سورة آل عمران ، آية (١٩٠) وقال صلى الله عليه وسلم : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما عربون به كتاب الله ثم انتهوا ، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا)

وَأَمَّا تَعْلِمُ عِلْمَ الطَّبِّ فَيَجُوزُ لِأَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَيَجُوزُ تَعْلَمُهُ
كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ . وَقَدْ تَدَاوَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَدْ حُكِيَ
عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : الْعِلْمُ عَلِيَانٌ : عِلْمُ الْفَقْهِ لِلْأَدْيَانِ ،
وَعِلْمُ الطَّبِّ لِلْأَبْدَانِ ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ بُلْغَةٌ بِمَجْلِسٍ (١)

وَأَمَّا تَقْسِيرُ الْعِلْمِ فَهُوَ صِفَةٌ يَتَجَلَّى بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذْكُورُ (٢)
كَأَنَّهُ . وَالْفَقْهُ : مَعْرِفَةُ دَقَائِقِ الْعِلْمِ مَعَ نَوْعٍ (٣) عِلَاجٍ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : الْفَقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا . وَقَالَ : مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ
وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ . فَيَنْبَغِي الْإِنْسَانَ أَنْ يَغْفَلَ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بلغة مجلس : كفاية مجلس ، أى يكفي للتحديث به فى المجلس

ولو صح أن الإمام الشافعى رضى الله عنه قال هذا فليس يقصد منه أن غير
هذين العلمين لا فائدة منه سوى التحديث به فى المجالس ، وإنما يقصد أنه يجب
وجوبا عينيا على كل فرد أن يعرف من الفقه ما يستقيم به دينه وأصح عبادته
ومن علم الطب ما يحفظ به صحته ويتقى أسباب الأمراض وهو ما يسمى « علم تدبير
الصحة » وما عدا هذين العلمين فهو واجب وجوبا كفايا

(٢) المذكور : أى ما يتعلق به العلم . كما هو : أى على حقيقته

(٣) هذا تعريف للفقه بالمعنى اللغوى العام الذى يشمل كل العلوم

وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أَوَّلَاهَا وَآخِرَاهَا ، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَجْتَنِبُ
مَا يَضُرُّهَا كَيْلًا يَكُونُ عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ حِجَّةً عَلَيْهِ فَيَزِدُّهُ عَقُوبَةً ، نَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخْبَارٌ صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ لَمْ نَسْتَغْلِ
بِذِكْرِهَا كَيْلًا يَطُولُ الْكِتَابُ (١)

فصل في النية حال التعلم

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَّةِ فِي زَمَانِ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ ، إِذِ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » حَدِيثٌ

(١) قَالَ تَعَالَى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ » إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ « سورة (الزمر) آية (٩)
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »
سورة المجادلة آية (١١)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » سورة البقرة آية (٢٦٩) وَجَاءَ فِي الْبُخَارِيِّ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ - خَيْرُ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ - مَعَ الْعِلْمِ ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ »

صَحِيحٌ ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةٍ
أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَيَصِيرُ بِحَسَنِ النِّيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ ، وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ
بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوءِ النِّيَّةِ » وَيَنْبَغِي أَنْ
يَنْوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ وَإِزَالَةَ الْجَهْلِ عَنْ
نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَالِ وَإِحْيَاءَ الدِّينِ وَإِبْقَاءَ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ
بِالْعِلْمِ وَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ ، انْشَدَنِي الْأَسْتَاذُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
الْأَجَلُ بَرَهَانَ الدِّينِ صَاحِبُ الْهُدَايَةِ لِبَعْضِهِمْ :

فَسَادَ كَبِيرُ عَالَمٍ مَتَّهِتٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مَتَنَسِكٌ

هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمَيْنِ عَظِيمَةٌ لِمَنْ بِهِمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسِكُ

وَيَنْوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ ، وَصِحَّةِ الْبَدَنِ وَلَا يَنْوِي بِهِ إِقْبَالَ

النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَلَا اسْتِجْلَابَ حُطَامِ الدُّنْيَا ، وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ السَّاطِطَانِ وَغَيْرِهِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِبِيدِي لَأَعْتَقْتَهُمْ وَتَبَرَّاتِ

عَنْ وَلَائِهِمْ . وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلْبًا يَرْغَبُ فِيهَا

مَحَمَّدُ النَّاسِ

أَشَدُّنَا الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَجَلَ الْأَسْتَاذَ قَوَامَ الدِّينِ حَمَادَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

إِسْمَاعِيلَ الصَّفَّارِ الْأَنْصَارِيِّ إِمْلَاءً لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى شِعْرًا :

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلْعِبَادِ فَازَ بِفَضْلِ مِنَ الرَّشَادِ

فِي الْخُسْرَانِ طَالِيهِ لَنَيْلِ فَضْلِ مِنَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ إِذَا طَلَبَ الْجَاهُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِيذِ

الْحَقِّ وَإِعْزَازِ الدِّينِ ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ ، فَيَجُوزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يُقِيمُ بِهِ الْأَمْرَ

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ

فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجَهْدٍ كَثِيرٍ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْحَقِيرَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَانِيَةِ

هِيَ الدُّنْيَا أَقْلُ مِنَ الْقَلِيلِ وَعَاشِقُهَا أَذْلُ مِنَ الذَّلِيلِ

تَصْنَمٌ بِسِحْرِهَا قَوْمًا وَتُحْمَى فَهُمْ مُتَحِيرُونَ بِلَا دَلِيلِ

وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِلْمِ الْأَيْدِلِ نَفْسَهُ بِالطَّمَعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَتَحَرُّزَ عَمَّا فِيهِ مَذَلَّةُ

الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، وَيَسْكُونُ مُتَوَاضِعًا ، وَالتَّوَاضُّعُ بَيْنَ التَّكْبَرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ ،

وَيَعْرِفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْإِخْلَاقِ

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسْتَاذُ رُكْنَ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ بِالْأَدِيبِ

الْمُخْتَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَاضُّعَ مِنْ خِصَالِ التَّقَى وَبِهِ التَّقَى إِلَى الْمُعَالَى يَرْتَقَى

وَمِنْ الْعَجَائِبِ عَجَبٌ مِنْ هُوَ جَاهِلٌ فِي حَالِهِ أَهْوَى السَّعِيدِ أَمْ الشَّقِيِّ

أَمْ كَيْفَ يَخْتَمُ عَمْرُهُ أَوْ رُوحُهُ يَوْمَ النَّوَى مُتَسَفِّلٌ أَوْ مُرْتَقَى

وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ بِهِ مَخْصُوصَةٌ فَتَجَنَّبْنَاهَا وَاتَّقَى

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَصْحَابِهِ : عَظِّمُوا عِمَائِمَكُمْ ، وَوَسِّعُوا أَكْمَامَكُمْ (١)

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسْتَحْفَظُ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ

عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ لِيُونُسَ بْنِ خَالِدِ السَّمْتِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

عَلَيْهِ عِنْدَ الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ ؛ يَجِدُهُ مِنْ يَطْلُبُهُ ، وَقَدْ كَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه ينبغي للمتعلم أن يظهر بالمظهر الذي يكسبه الإجلال

والاحترام تعظيمًا للعلم وإكبارًا لشأنه

بِرْهَانِ الْأَثْمَةِ عَلَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ الْعَزِيزِ أَمَرَ نِي بِكِتَابَتِهِ عِنْدَ
الرُّجُوعِ إِلَى بَلَدِي وَكِتَابَتِهِ ، وَلَا يَدُ لِلْمُدْرِسِ وَالْمُنْتَقِي فِي مَعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ

﴿فصل في اختيار العلم والاستاذ والشرىك والشبات﴾

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ (١) وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ دِينِهِ
فِي الْحَالِ . ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَالِ ، فَيَقْدُمُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَيَعْرِفُ
اللَّهُ تَعَالَى بِالذَّلِيلِ ، فَإِنْ إِيْمَانُ الْمُقْلِدِ وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا عِنْدَنَا لَسَكَنُ يَكُونُ أَيْمَانُ بَرَكِ
الْإِسْتِدْلَالِ (٢) وَيَخْتَارُ الْعَتِيقَ (٣) دُونَ الْمُحَدَّثَاتِ قَالُوا : عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ ،

(١) أَحْسَنُ كُلِّ عِلْمٍ مَا كَانَ مِنْ جَوْهَرِهِ وَصَرِيحِهِ ، وَخُلَاصَ مِنْ الْمُنَاقَشَاتِ
وَالْخِلَافَاتِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحْسَنُ لَا ، وَلَوْ مَارِسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ

إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدُ غَوْرِهِ نَفَخُوا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ

(٢) أَيْ مَعْرِفَةَ الدَّلِيلِ . وَأَفْضَلُ الْأَدَلَةِ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ فُطْرِيًّا بَسِيطًا كَذَلِكَ
الدَّلِيلُ النَّاصِعُ الَّذِي قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ فِي لَهْجَةٍ قَوِيَّةٍ صَرِيحَةٍ : الْبَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ
وَالْأَثَرُ يَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ ، فَأَرْضُ ذَاتِ بَفَاجٍ ، وَسَمَاءُ ذَاتِ أَبْرَاجٍ ، أَفَلَا تَدُلُّ عَلَى
الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ ؟ ! »

(٣) يُرِيدُ بِالْعَتِيقِ مَا تَمَّ الِاتِّفَاقُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ قَامَ الْبِرْهَانُ الْقَاطِعُ عَلَى صَحَّتِهِ ، وَيُرِيدُ
بِالْحَدِيثِ مَا لَا يَزَالُ الْخِلَافُ فِيهِ مُحْتَمًا وَلَمْ تَنْفَكْ أَدَلَةُ الْآرَاءِ الْمُتَصَادِمَةِ فِيهِ يَنْقُضُ

وَأَيَّاكُمْ وَالْمُحَدَّثَاتِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ انْقِرَاضِ
 الْأَكْبَارِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ الطَّالِبَ عَنِ الْفَقْهِ ، وَيُضَيِّعُ الْعَمَلَ ، وَيُورِثُ
 الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (١) وَأَرْتَفَاعِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ .
 كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ (٢) وَأَمَّا اخْتِيَارُ الْأَسْتَاذِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمُ
 وَالْأَوْرَعُ وَالْأَسَنُّ ، كَمَا اخْتَارَ أَبُو حَنِيفَةَ حَمَادُ بْنُ سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ
 التَّامُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَقَالَ : وَجَدْتُهُ شَيْخًا وَقُورًا حَلِيمًا صَبُورًا . وَقَالَ : ثَبَتَ عِنْدَ
 حَمَادِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَنَمِيتُ . قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سَمُرْقَنْدٍ يَقُولُ
 إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاوَرَنِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ
 إِلَى بُخَارَى لِطَلَبِ الْعِلْمِ — وَهَسَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَشَاوَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ

بعضها بعضا ؛ وذلك لأنه لا ينبغي للمتعلم أن يعتقد شيئا قبل أن يقوم البرهان على صحته

(١) أشرط جمع شرط بفتح الشين والراء : العلامة . أى علامات يوم القيامة

(٢) يشير إلى ما رواه الديلمي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « تعلموا العلم قبل أن يرفع ، فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده

وعليكم باعلم ، وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق ، وعليكم بالعتيق »

تَعَالَى أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَشَاوِرَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلَمْ يَسْكُنْ
 أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالْمَشَاوِرَةِ وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ
 الْأُمُورِ حَتَّى حَوَائِجِ الْبَيْتِ . قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ . مَا هَلْكَ أَمْرُؤُ عَنْ
 مَشُورَةٍ وَقِيلَ : النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ ، فَالرَّجُلُ مَنْ لَهُ
 رَأْيٌ صَائِبٌ وَيُشَاوِرُ ، وَنِصْفُ الرَّجُلِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ ، وَلَكِنْ لَا يُشَاوِرُ
 أَوْ يُشَاوِرُ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ ، وَلَا شَيْءَ مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ . قَالَ
 جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : شَاوِرٌ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ
 يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى . وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْعَبُهَا فَكَانَتِ الْمَشَاوِرَةُ
 فِيهِ أَهْمٌ وَأَوْجَبٌ (١) — قَالَ الْحَكِيمُ : إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى لَا تَعْجَلْ فِي
 الْأَخْتِلَافِ (٢) إِلَى الْأَئِمَّةِ وَأَمْسِكْ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَتَأَمَّلَ وَتَخْتَارَ اسْتَاذًا ،

(١) ما بين الشرطين ليس من كلام الحكميم بل من كلام المؤلف ساقه هنا
 لبيان أهمية المشاورة

(٢) الاختلاف إلى الأئمة هو التردد على مجالسهم لأخذ العلم عنهم

(٢ - تعليم)

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالَمٍ وَبَدَأْتَ بِالسَّبْقِ (١) عِنْدَهُ رَبِّمَالًا يُعْجِبُكَ دَرْسُهُ
فَتَرْكُهُ وَتَذْهَبُ إِلَى آخَرَ فَلَا يُبَارِكُ لَكَ فِي التَّعْلُمِ ، فَتَأْمَلُ شَهْرَيْنِ فِي اخْتِيَارِ
الْأُسْتَاذِ وَشَاوِرَ حَتَّى لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ فَتَثْبُتَ عِنْدَهُ حَتَّى
يَكُونَ تَعْلِيمُكَ مُبَارَكًا وَتَنْتَفِعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ أَصْلُ
كَبِيرٍ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَلَكِنَّهُ عَزِيزٌ كَمَا قِيلَ :

لِكُلِّ إِلَى شَأْنٍ الْعُلَا حَرَكَاتٌ وَلَكِنْ عَزِيزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتٌ
قِيلَ : الشَّجَاعَةُ ، صَبْرُ سَاعَةٍ . فَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ عَلَى
أُسْتَاذٍ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكُهُ أَبَتْرُ (٢) وَعَلَى فَنٍ حَتَّى لَا يَشْتَغَلَ بِفَنٍ آخَرَ
قَبْلَ أَنْ يَتَقَنَّ الْأَوَّلَ ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَفَرِّقُ الْأُمُورَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ ، وَيُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ ، وَيُؤْذِي
الْمَعْلَمَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تَرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بدأت بالسبق عنده : أي بدأت بأخذ العلم عنه قبل التأمل وحسن الاختيار
(٢) أبتر : ناقص

إِنَّ أَطْوَىٰ لَّهُوَ الْهُوََانُ بِعَيْنِهِ وَصَرِيحٌ كُلُّهُ هَوَىٰ صَرِيحٌ هَوَانٌ
وَيَصْبِرُ عَلَىٰ الْمَحْنِ وَالْبَلِيَّاتِ فَقَدْ قِيلَ : خَزَائِنُ الْمُنَنِ عَلَىٰ قَنَاظِرِ الْمَحَنِ .
وَأَنْشَدْتُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَعَلِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :

أَلَا لَا تَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَةٍ سَانِدِيكَ عَنْ جَمْعِهَا بَيَّانٌ
ذَكَاءٌ ، وَحِرْصٌ ، وَأَصْطِبَارٌ ، وَبَلَاغَةٌ (١) وَإِرْشَادٌ أَسَدٌ ، وَطُولُ زَمَانٍ

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمُجِدَّ وَالْوَرَعَ وَصَاحِبَ الطَّبَعِ
الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَفِرَّ مِنَ الْكَسَلَانِ وَالْمُعْطَلِّ وَالْمُكْثَارِ وَالْمُفْسِدِ وَالْفَتَّانِ (٢)
قَالَ الشَّاعِرُ :

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي (٣)

(١) البلغة : ما يبلغ به من العيش

(٢) المكثار : كثير الكلام . والفتان : هو من يثير الفتن والمنازعات

بين الناس

(٣) الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتزدى مع الردى

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَانِبَهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنَهُ تَهْتَدِي
وَأَنْشَدَتْ :

لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَالَتِهِ كُمْ صَالِحٌ بِفَسَادٍ آخِرٍ يَفْسُدُ
عَمْدَوِي الْبَلِيدُ إِلَى الْجَلِيدِ سُرْعَةً كَالْجَزْرِ يَوْضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَنْخَمِدُ

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ
أَبُوهُ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ أَوْ مَجْنُونٌ » الْحَدِيثُ . وَيُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ

يَارِبِدْ يَدْتَرْ بُوْدَازْ مَارِبِدْ حَقِّ ذَاتِ بَاكِ اللَّهُ الصَّمَدُ

يَارِبِدْ آرْدْ تِرَاسُوِي جَجِيمِ يَارْتِسِكُو كِيرْتَا يَا بِي نَعِيمِ (١)

وَقِيلَ :

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الصَّلَامَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَاسْأَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي
وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
« اخْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْوَانِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَخَادُنُ مَنْ يَعْجِبُهُ نَحْوُهُ » أَيْ مِنْهُجُهُ وَطَرِيقَتُهُ .
(١) جَاءَ فِي شَرْحِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ لِهَذَا الْكِتَابِ بَيَانًا لِمَعْنَى هَذَا
الشَّعْرِ الْفَارِسِيِّ : يَعْنِي أَنَّ الْمَصَاحِبَ السُّوءَ أَسْوَأَ مِنَ الْحَيَةِ السُّودَاءِ وَأَكْثَرُ مِنْهَا ضَرَرًا .

فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب (١)

(فصل في تعظيم العلم وأهله)

اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله ،
وتعظيم الاستاذ وتوقيره ، فقد قيل : ما وصل من وصل إلا بالحرمة (٢)
و ما سقط من سقط إلا بترك الحرمة . وقيل : الحرمة خير من الطاعة .
ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وبترك
الحرمة ، ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم . قال علي كرم الله وجهه : أنا عبد
من علمني حرفاً واحداً ، إن شاء باع ، وإن شاء أعتق ، وإن شاء استرق .
وقد أنشدت في ذلك شعراً :

-
- (١) فاعتبر الأرض بأسمائها : يمكن أن يقال إن المراد بأسمائها الأسماء التي
تطلق عليها : فكلمة ضيعة تدل على أنها أرض ذات زرع وضرع ، وكلمة حديقة
تدل على أنها ذات أشجار وثمار . . . ويمكن أن يقال إن المراد بأسمائها أسماء
ساكنيها : فإذا شاعت بينهم أسماء صخر وحجر والقارظ والدارم مثلاً دل ذلك
على أنها أرض جبلية يكثُر فيها شجر القرظ والدارم ، وإذا شاع فيها أسماء أسد
وثعلب وكلب أو كلاب مثلاً دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثُر فيها .
- (٢) الحرمة : المهابة والتعظيم .

رَأَيْتُ أَحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمُعَلِّمِ وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ كَرَامَةٌ لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفِ دِرْهَمٍ
فَإِنْ مِنْ عَمَلِكَ حَرْفًا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَبْرَكَ فِي الدِّينِ . وَكَانَ
أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : قَالَ
مُشَايِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ابْنَهُ عَالِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ
الْغُرَبَاءَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَيُسَكِّرَهُمْ وَيُطْعِمَهُمْ وَيُعْظِمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ شَيْئًا ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ ابْنَهُ عَالِمًا كَانَ حَفِيدَهُ عَالِمًا . وَمَنْ تَوَقَّرَ الْمُعَلِّمُ الْإِيْمَشِيَّ أَمَامَهُ ، وَلَا
يَجْلِسَ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْتَدِئَ بِالْكَلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا بِأَذْنِهِ ، وَلَا يُكْثِرُ الْكَلَامَ عِنْدَهُ
إِلَّا بِأَذْنِهِ ، وَلَا يَسْأَلُ شَيْئًا عِنْدَ مَلَائِكَتِهِ (١) ، وَيُرَاعِي الْوَقْتَ وَلَا يُدَقُّ الْبَابَ
بَلْ يَصْبِرُ حَتَّى يُخْرَجَ

وَفِي الْجُمْلَةِ يُطَلَّبُ رِضَاُهُ ، وَيَحْتَنَبُ سُنْطُهُ ، وَيُمْتَثِلُ أَمْرَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الملائكة : الضجر والسأم . ويراعي الوقت أى لا يفعل شيئاً إلا فى الوقت
المناسب له :

وَالسَّلَامُ : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ دِينَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ»

وَمَنْ تَوَقَّيرُهُ تَوَقَّيرُ أَوْلَادِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وَكَانَ أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ
بَرْهَانَ الدِّينِ صَاحِبُ الْهُدَايَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَحْكِي أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ
أَئِمَّةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ بِمَجْلِسِ الدَّرْسِ وَكَانَ يَقُومُ فِي خِلَالِ الدَّرْسِ أَحْيَانًا ،
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ فِي السُّكَّةِ وَيَجِيءُ
أَحْيَانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ أَقُومُ لَهُ تَعْظِيمًا لِأَسْتَاذِي وَكَانَ الْقَاضِي
الْإِمَامُ نَحْرُ الدِّينِ الْأَرَسَابَنْدِي رَئِيسُ الْأَئِمَّةِ فِي مَرُوءِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ
يَحْتَرِمُهُ غَايَةَ الْاحْتِرَامِ . وَيَقُولُ : إِنَّمَا وَجَدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ بِخِدْمَةِ الْأَسْتَاذِ
فَإِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ الْأَسْتَاذَ الْقَاضِيَّ الْإِمَامَ أَبَا يَزِيدَ الدَّبُوسِيَّ ، وَكُنْتُ أَخْدُمُهُ
وَأَطْبِخُ طَعَامَهُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَا آكُلُ مِنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ
شَمْسُ الْأَئِمَّةِ الْحُلَوَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى
أَيَّامًا لِحَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيذُهُ غَيْرُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقَاضِي شَمْسِ
الْأَئِمَّةِ الزُّرْنَجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ : لِمَ لَمْ تَزُرْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مَشْغُورًا بِخِدْمَةِ الْوَالِدَةِ ، فَقَالَ تَرْزُقُ الْعَصْرَ ، وَلَا تَرْزُقُ رَوْثَ الدَّرْسِ .
وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَانْهَ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى وَلَمْ يَنْتَظِمِ لَهُ الدَّرْسُ
فَن تَأْذَى مِنْهُ اسْتِزَادُهُ بِحَرَمِ بَرَكَةِ الْعِلْمِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا

إِنَّ الْمُسْلِمَ وَالطَّيِّبَ كِلَاهُمَا لَا يَصْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ وَأَقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ لِيُعَلِّمَهُ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ وَابْنُ الْخَلِيفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ
عَلَى رِجْلِهِ ، فَهَاتَبَ الْأَصْمَعِيُّ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِنَّمَا بَعَثْتَهُ إِلَيْكَ لِتُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ
فَلِمَاذَا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ بِأَحَدِي يَدَيْهِ وَيَغْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ ؟
وَمَنْ تَعْظِيمِ الْمُعَلِّمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ الْإِخْذُ بِالْكِتَابِ
إِلَّا بِالطَّهَارَةِ

وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأُمَّةِ الْحَلَوَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا

نلت هذا العلم بالتعظيم ، فَإِنِّي مَا أَخَذْتُ الْكَاغِدَ (١) إِلَّا بِالطَّهَارَةِ . وَالشَّيْخُ
 الْإِمَامُ شَمْسُ الْأُمَمَةِ السَّرْحَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ مَبْطُونًا (٢) وَكَانَ
 يُكْرَرُ (٣) فِي لَيْلَةٍ فَتَوْضَأُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكْرَرُ
 إِلَّا بِالطَّهَارَةِ وَهَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ، وَالْوُضُوءَ نُورٌ ، فَيَزِدَادُ نُورَ الْعِلْمِ بِهِ ،
 وَمِنَ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبُ الْأَيْمُدُّ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ
 فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا ، وَلَا يَضَعُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ ، وَكَانَ
 أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي عَنْ شَيْخٍ مِنْ
 الْمَشَائِخِ أَنَّ فَقِيهًا كَانَ وَضَعَ الْمُحْبَرَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارْسِيَّةِ :
 « بَرْنِيَانِي (٤) » وَكَانَ أَسْتَاذَنَا الْقَاضِي الْإِمَامُ الْأَجَلُّ نَحْرُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُ
 بِقَاضِي خَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ الْأِسْتِخْفَافُ فَلَا بَأْسَ

(١) الكاغد بفتح الغين : القرطاس

(٢) المبطون هو من يشتكي بطنه (٣) يريد هذا كره العلم

(٤) في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة : لا تجد النفع

به ، والأولى أن يتحرز عنه . ومن التعظيم الواجب أن يحود كتابة الكتاب ، ولا يقرمط (١) ، ويترك الحاشية إلا عند الضرورة . ورأى أبو حنيفة رحمه الله تعالى كاتباً يقرمط في الكتابة . فقال : لم تقرمط خطك إن عشت تدم ، وإن مت تشتم . يعني إذا شئت وضعف بصرك ندمت على ذلك .

وحكى عن الشيخ الإمام مجد الدين الصرحي (٢) أنه قال : ما قرمطنا إلا ندمنا ، وما انتخبنا إلا ندمنا ، وما لم نقابل إلا ندمنا (٣) . وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مربعا فإنه تقطيع أبي حنيفة رحمه الله وهو أيسر إلى الرفع والوضع والمطالعة ، وينبغي ألا يكون في الكتاب شيء من الحرة ، فإنها

(١) يقرمط : يدقق الكتابة ويصغرها

(٢) في نسخة أخرى : الشيخ الإمام محمد مجد الدين الصرحي

(٣) ما انتخبنا : لخصنا ، أي ما تركنا شيئا إلا احتجنا إلى ما تركناه ووددنا

لو كان ما معنا مفصلا متوسعا فيه . وما لم نقابل : أي ما فرطنا في المراجعة ومقابلة النسخة المكتوبة حديثا على الأخرى المصححة إلا ندمنا لعثورنا على أخطاء وأغلاط في النسخة الحديثة

صَنِيعُ الْفَلَّاسِغَةِ لَا صَنِيعُ السَّافِّ : وَمِنْ مَشَائِخِنَا مَنْ كَرِهَ اسْتِعْمَالَ
 الْمُرَكَّبِ (١) الْأَحْمَرِ . وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الشُّرَكَاءِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالدَّرْسِ
 وَمَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ . وَالتَّمَلُّقُ (٢) الْمَذْمُومُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَمَلَّقَ
 لِأَسَاتِذِهِ وَشُرَكَائِهِ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَمَعَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ
 بِالتَّعْظِيمِ وَالْحَرَمَةِ ، وَإِنْ سَمِعَ الْمَسْئَلَةَ الْوَاحِدَةَ أَوِ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ أَلْفَ مَرَّةٍ
 قِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْظِيمُهُ بَعْدَ أَلْفِ مَرَّةٍ كَتَعْظِيمِهِ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ
 لِلْعِلْمِ وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَخْتَارَ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ بَلْ يَفُوضَ أَمْرَهُ إِلَى الْأَسَاتِذِ ،
 فَإِنَّ الْأَسَاتِذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارِبُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ أَعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ ،
 وَمَا يَلِيقُ بِطَبِيعَتِهِ . وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُ الْأَسَاتِذَ بِرَهَانِ الدِّينِ يَقُولُ :
 كَانَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَفُوضُونَ أُمُورَهُمْ فِي التَّعَلُّمِ إِلَى أَسَاتِذِهِمْ ،
 فَكَانُوا يَصِلُونَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ وَمُرَادِهِمْ ، وَالْآنَ يَخْتَارُونَ بِنَفْسِهِمْ فَلَا يَحْصُلُ

(١) المركب : المداد

(٢) التملق : التودد والتلطف . والتملق المذموم هو المتكلف المصطنع استجلاباً

لفائدة مادية لأنه حينئذ يدل على الضعف والمهانة والصغار

مقصودهم من العلم والفقه . وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى كَانَ بَدَأَ بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى : أَذْهَبُ وَتَعْلَمُ عِلْمَ الْحَدِيثِ . لَمَّا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْيَقِيضَ بِطَبْعِهِ
 فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيثِ فَصَارَ فِيهِ مُقَدِّمًا عَلَى جَمِيعِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ . وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ
 الْعِلْمِ أَنْ يَجْلِسَ قَرِيبًا مِنَ الْأَسْتَاذِ عِنْدَ السَّبْقِ (١) بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، بَلْ يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْتَاذِ قَدْرُ الْقَوْسِ ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ . وَيَنْبَغِي
 لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ ، فَإِنَّهَا كَلَابٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَقَدْ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ
 صُورَةٌ . وَإِنَّمَا يَتَعْلَمُ الْإِنْسَانُ بِوَاسِطَةِ الْمَلِكِ ، وَالْأَخْلَاقُ الذَّمِيمَةُ تَعْرِفُ
 فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ ، وَكِتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا . وَلِيَحْتَرِزَ خُصُوصًا عَنِ
 التَّكَبُّرِ فَمَعَ التَّكَبُّرُ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ : قِيلَ :

(١) السبق : استماع الدرس ، وكأنه أخذه من قوله تعالى في سورة النازعات
 « فالسابقات سبقا » على رأى من فسر به بأن الملائكة والجن كانوا يتسابقون إلى
 استماع الوحي

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالَى كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلسَّكَّانِ الْعَالَى

وقيل :

بجدي لا يجدي كل مجدي فهل جد بلا جد بمجدي (١)
فكم عبيد يقوم مقام حر وكم حر يقوم مقام عبد (٢)

﴿فصل في الجِد والمواظبة والهمة﴾

ثم لا بد من الجِدِّ والمواظبة والملازمة لطالب العلم ، وإليه الإشارة في القرآن بقوله تعالى : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا كِتَابَ بَقْوَةٍ » وقد قيل : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ ، وَمَنْ

(١) بجدي بسكر الجيم : أى بلغت العلا باجتهادى ونشاطى فأنا عصامى .
لا يجد كل جد : أى لم أصل إلى غرضى بسعى غيرى واجتهاد سوى فاست عظاميا
فهل جد بفتح الجيم : حظ وبخت ، أى أن الحظ والبخت لا يفيد شيئا إذالم يكن
هناك جد واجتهاد ، وفرص السعادة والمجد تسرح لكل الناس أولاكثرهم ولكن
قل منهم من ينتهزها ، فهى كالطائر يحلق فوق الرؤوس فاليقظ النشيط يثب إليه
ويمسكه ، والسكول البليد يقف أمامه جامدا

(٢) يعنى أن الجد والعمل يرفع العبيد الأذلاء إلى مقام السادة الأجداد والكسل
والخمول يحط السادة الأشراف إلى حضيض العبيد الأذلاء

قَرَعَ الْبَابَ وَجَّ وَجَّ (١) . وَقِيلَ : بِقَدْرِ مَا تَنْعَى تَنَالَ مَا تَتَمَنَّى قِيلَ : بِحَتَّاجٍ
فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةٌ : الْمُتَعَلِّمُ وَالْأَسَازُ وَالْأَبَ إِن كَانَ فِي
الْأَحْيَاءِ أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسَازُ سَدِيدُ الدِّينِ الشَّيْرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ
لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

الْجِدُّ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ
وَأَجَقَ خَلَقَ اللَّهُ بِأَلْهَمٍ أَمْرُو ذُو هِمَّةٍ يَبْلَى بِعَيْشٍ ضَيِّقٍ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ بَوْسُ اللَّيْبِ وَطِيبُ عَيْشٍ الْآحَقُ (٢)
لَكِنَّ مَنْ رَزَقَ الْحِجَى حَرَمَ الْغَنَى ضِدَّانِ يَفْتَرِقَانِ أَى تَفَرُّقٍ

(١) لَج : أَلَحَّ وَشَدَّدَ . وَجَّ : دَخَلَ

(٢) حَيْثُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّيْبُ هُوَ الْغَنَى الطَّيِّبُ الْعَيْشُ لَتَفُوقِهِ بِعَقْلِهِ
وَذِكَاثِهِ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْآحَقَ الْغَنَى هُوَ الْأَكْثَرُ غَنَى وَالْأَطْيَبُ عَيْشًا عَرَفْنَا أَنَّ هُنَاكَ
قُوَّةٌ أُخْرَى هِيَ الَّتِي قَلَبَتْ الْأَمْرَ وَعَكَسَتْ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ وَالْمَنْطِقُ وَتِلْكَ الْقُوَّةُ
هِيَ الَّتِي يَسْمِيهَا الشَّاعِرُ حُكْمَ الْقَضَاءِ أَى قَضَاءِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ . وَلَكِنْ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُتَنَبِّئِيِّ
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ بِنِعَمِ

وَأَنْشَدْتُ لغيره :

تَمَنَيْتُ أَنْ تُمْسِيَ فَقِيهَاً مُنَاطِظاً بغير غناءٍ وَالْجُنُونُ فَنُونُ
وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشَقَّةٍ تَحْمِلُهَا ، فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ ؟ (١)

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٢)
وَلَا بُدَّ لِلطَّالِبِ مِنْ سَهَرِ اللَّيَالِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُسْلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
تُرُومُ الْعِزِّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يُغْوِصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّالِي
عَلُو الْكُغْبِ (٣) بِالْهَمِّ الْعَوَالِي وَعِزُّ الْمَرْءِ فِي سَهْرِ اللَّيَالِي

(١) أى كيف يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأنًا وأصعب منالاً من المال

(٢) أى أن أعظم عيوب القادرين هو تقصيرهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرُونَ عليه بسبب الإهمال والتفريط والكسل

(٣) يعنى ارتفاع الشأن

وَمَنْ رَامَ الْعُلَا مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَلَبِ الْمُحَالِ
تَرَكَتُ النَّوْمَ رَبِّي فِي اللَّيَالِي لِأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي
فَوَقَّعْتَنِي إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَلَّغْتَنِي إِلَى أَقْصَى الْمَعَالِي

وَقِيلَ : اتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلًا تُدْرِكُ بِهِ أَمَلًا . قَالَ الْمُصَنِّفُ (١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

وَقَدْ اتَّفَقَ لِي نَظْمٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِيَ آمَالَهُ جَمَلًا فَلْيَتَّخِذْ لَيْلَهُ فِي دَرْكِهَا جَمَلًا
أَقْلَلْ طَعَامَكَ كَمَا تَحْظِي بِهِ ثَمَرًا إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِي أَنْ تَبْلُغَ السَّكَمَلَا (٢)

وَقِيلَ : مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ ، فَقَدْ فَرَّحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ ، وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ
الْعِلْمِ مِنَ الْمُواظَعَةِ عَلَى الدَّرْسِ وَالتَّكْرَارِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ ، فَإِنَّ مَا بَيْنَ
الْعِشَاءَيْنِ وَوَقْتِ السَّحَرِ وَقْتُ مُبَارَكٍ . قِيلَ فِي الْمَعْنَى شِعْرٌ :

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِأَشْرِ الْوَرَعَا وَجَنِّبِ النَّوْمَ وَاتْرُكِ الشَّبَعَا

(١) يريد نفسه

(٢) الكمل بفتح الكاف والميم : السكامل ، ويريد به السكامل

دَآوِمٌ عَلَى الدَّرْسِ لَا تَفَارِقُهُ فَالْعِلْمُ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا
فَيَنْتَعِمُ أَيَّامَ الْحَدَاثَةِ وَعُنْفُوَانُ (١) الشَّبَابِ كَمَا قِيلَ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُعْطَى مَا تُرَوِّمُ فَمَنْ رَامَ الْمُنَى لَيْلًا يَقُومُ
وَأَيَّامَ الْحَدَاثَةِ فَاغْتَنِمَهَا أَلَّا إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تَدُومُ

وَلَا يَجْهَدُ نَفْسَهُ جُهْدًا ، وَلَا يَضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بَلْ
يَسْتَعْمِلُ الرِّفْقَ فِي ذَلِكَ ، وَالرِّفْقُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ : قَالَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ : « أَلَّا إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلُوا (٢) فِيهِ بِرَفْقٍ ،
وَلَا تُبْغِضْ (٣) عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ (٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ

وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نَفْسُكَ مَطِيئَتُكَ فَارْفُقْ بِهَا . وَلَا بُدَّ
لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيرُ بِهَمَّتِهِ كَالطَّيْرِ ،
يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ .

(١) عنفوان الشباب : قوته وحيته (٢) أوغلوا : اذهبوا فيه وتعمقوا

(٣) تبغض على نفسك : تثقل وتضعف

(٤) المنبت المنقطع عن السفر لإجهاده مطيته حتى نفقت

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَاتُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ (١)

وَالرَّاسُ (٢) فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجَدُّ وَالْهَمَّةُ الْعَالِيَةُ ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ حَفِظَ

جَمِيعَ كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجَدَّ وَالْمُؤَاطَبَةَ ،

فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نَصْفَهَا . فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ ، وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ جَدٌّ ، أَوْ كَانَ لَهُ جَدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ . فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا

الْقَلِيلُ . وَذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَجَلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدِّينَ النَّيْسَابُورِيَّ رَحِمَهُ

اللَّهُ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لَيْسَتْوَلِي

(١) العِزَاتُ جمع عِزْمَةٍ وَهِيَ الْإِرَادَةُ وَالتَّصْمِيمُ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعِزَّاتِ وَالْمَكَارِمِ

تَكُونُ بِحَسَبِ أَقْدَارِ فَاعِلِيهَا : فَإِذَا كَانَتْ أَقْدَارُ فَاعِلِيهَا عَظِيمَةً كَانَتْ هِيَ عَظِيمَةً

أَيْضًا وَإِذَا كَانَتْ أَقْدَارُهُمْ صَغِيرَةً كَانَتْ عِزَاتُهُمْ وَمَكَارِمُهُمْ صَغِيرَةً أَيْضًا لِأَنَّ

ضَعِيفَ الْهَمَّةِ صَغِيرَ النَّفْسِ يَرَى الْأُمُورَ الصَّغِيرَةَ كَبِيرَةً عَظِيمَةً . أَمَّا عَالِيُ الْهَمَّةِ ،

كَبِيرُ النَّفْسِ ، فَإِنَّهُ يَرَى كِبَارَ الْأُمُورِ صَغِيرَةً وَصَعَابَهَا سَهْلَةً هَيِّنَةً

(٢) الرَّاسُ فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ : يَعْنِي الْأَصْلَ وَالْأَسَاسَ

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاوِرَ الْحُكَمَاءِ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَسَافِرُ لِهَذَا
الْقَدْرِ مِنَ الْمُلْكِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيلَةٌ فَانِيَةٌ وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيرٌ ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ
عُلُوِّ الْهَمَّةِ . فَقَالَ الْحُكَمَاءُ : سَافِرْ لِيَحْصَلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . قَالَ :
هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَاضِيَ
الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا (١) . وَقِيلَ :

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَأَسْتَدِمَّهُ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كُتِّدِيم (٢)
قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى : كُنْتَ بَلِيدًا فَأَخْرَجْتُكَ
الْمُوَاطَّيَةَ . وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ شَوْمٌ وَآفَةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو نَصْرِ
الْصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَا نَفْسُ يَا نَفْسُ لَا تُرْخِي عَنِ الْعَمَلِ فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ
فَكُلْ ذِي عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُغْتَبِطٌ وَفِي بَلَاءٍ وَشَوْمٍ كُلُّ ذِي كَسَلٍ

(١) السفساف : الرديء الحقير

(٢) صلى عَصَاكَ : أى لينها بالنار ليسهل تقويمها . والمعنى أن خير وسائل تقويم

المعوج وإصلاح الفاسد ، الاستدامة والاستمرار

قال المصنف وقد اتفق لي في هذا المعنى :

دَعَى نَفْسِي التَّكَاثُلَ وَالتَّوَانِي وَإِلَّا فَاثْبُتِي فِي ذَا (١) الْهُوَانِ
فَلَمْ أَرَ لِلْكَسَالِ الْحِظَّ يُعْطَى سِوَى نَدَمٍ وَحِرْمَانِ الْأَمَانِ

وقيل .

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ تَجَرٍّ وَكَمْ نَدَمٍ جَمَّ تَوَلَّدَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلٍ (٢)
إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ شِبْهِ فَمَا عَلِمْتَ ، وَمَا قَدْ شَذَّ عَنْكَ سَلِ (٣)
وَقَدْ قِيلَ : الْكَسَلُ مِنْ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ
أَنْ يَبْعَثَ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاطَّئَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ،
فَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى بِقِيَامِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَالُ يَفْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ

(١) ذَا الْهُوَانِ : أى هذا الهوان

(٢) المراد بالحِيَاءُ هنا الخجل ، يعنى أن الكسل كثيرا ما يخجل الإنسان بسببه

ووقف عاجزا نادما

(٣) إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ : أيتعد عن الكسل ، شذ عنك : بعد عنك وصعب عليك

أى لا تتوان ولا تفرط في البحث والتقصي حتى تعثر على ما يزيل ما عندك من شبه

وشكوك ، فالذى استطاعت أن تعلمه بنفسك اكتفيت به ، والذي صعب عليك

الاهتمام إلى الصواب فيه فاسأل عنه أهل العلم به

أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يَزَالُ

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْصُلُ بِهِ حَسَنُ الذِّكْرِ وَيَبْقَى ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَيَاةٌ
أَبَدِيَّةٌ . انْشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ ظَهِيرُ الدِّينِ مَفْتِي الْأَئِمَّةِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
الْمَعْرُوفِ بِالْمَرْغِينَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

الْجَاهِلُونَ قَمَوْنِي قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَالْعَالِمُونَ وَإِنْ مَاتُوا فَأَحْيَاءُ (١)

وَانْشَدَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرَهَانَ الدِّينِ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَإِنْ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِينَ النُّشُورِ نُشُورٌ (٢)

(١) مَوْتِي : جمع ميت . والفاء على تقدير أمانى الكلام : أى أما الجاهلون

فهم مَوْتِي .

(٢) النُّشُورُ : البعث ، يقال : يوم النُّشُورِ أى يوم البعث

وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ (١)
وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى الثَّرَى يُظُنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ (٢)

وقال آخر

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاعْتَنِمَهُ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبَهُ

وَأَنشَدَنَا الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتَبَةٍ فِي الْمَرَاتِبِ وَمَنْ دُونَهُ عِزُّ الْعَالِي فِي الْمَوَاقِبِ (٣)
فَذُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التِّيَّارِبِ (٤)

(١) رميم : بالية وفانية

(٢) الثرى : التراب المندى والمقصود به هنا الأرض

(٣) المواقب جمع موكب ، وهو الجماعة السائرة ركباناً أو مشاة ، والمقصود

مطلق الجماعة ، يعنى أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل وأشرفها وكل المعالي والرياسات في الجماعات دونه في الشرف والرفعة

(٤) التيارب جمع تيرب وهو التراب ، يعنى أن المتعلم لا يزول عزه ومجده

بعد وفاته بل يبقى كاملاً غير منقوص ، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من سعادة ونعيم ، أما الجاهل فإن عزه يزول بعد دفنه تحت التراب

- فَهَيَّاتْ لَا يَرْجُو مَدَاهُ مَنْ أُرْتَقَى رُقَى وَلِي الْمُلْكِ وَالِي السُّكْتَائِبِ (١)
- سَامِلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْتَمِعُوا فِي حَصْرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَاقِبِ (٢)
- هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَمَى وَذُو الْجَهْلِ مِنَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْغِيَاهِبِ (٣)
- هُوَ الذَّرْوَةُ الشَّمَاءُ تَحْمِي مِنَ التَّجَا إِلَيْهَا وَيَمْشِي آ مَنَا فِي النَّوَائِبِ (٤)
- بِهِ يَنْتَجِي وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ بِهِ يَرْجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ (٥)
- بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ رَاحٍ عَاصِيَا إِلَى دَرَكِ النَّيْرَانِ شَرِّ الْعَوَاقِبِ (٦)

(١) مداه : غاية ، والي : حاكم ، السكتائب جمع كتيبة وهي الفرقة العظيمة من الجنود يعني أن الملوك والسلاطين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة لا يبلغون من العز والمجد مبلغ العلماء والحكام

(٢) حصر بفتح الحاء والصاد : عجز وعي . المناقب جمع منقبة : المفخرة والفضيلة

(٣) من الدهر : مدى الدهر ، الغياهب جمع غيب : الظلام الشديد

(٤) الذروة : ذروة كل شيء أعلاه فذروة الجبل قمته ، والشماء : المرتفعة

العالية ، أي أن العلم ينجي صاحبه من المهالك ، ويحميه من المعاطب كما تحمي الذروة العالية من التجأ إليها وتنجي من اعتصم بها

(٥) ينتجي : يطلب النجاة ، الترائب : عظام الصدر ، يعني أن العلم ينجي من الضلال في الحياة الدنيا ومن العذاب في الآخرة ويرجو المرء به حين تحضره الوفاة أن يغفر الله له ذنوبه

(٦) يشفع الإنسان من راح عاصيا : أي يضم العالم بعض حسناته إلى

فَقَرَبَ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبِ كُلِّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ (١)
 هُوَ الْمَنْصَبُ الْعَالِي فَيَأْصَحِبُ الْحِجَا إِذَا نَلَتْهُ هَوْنٌ بِفَوْتِ الْمَنَاصِبِ (٢)
 فَإِنْ قَاتَكَ الدُّنْيَا وَطِيبُ نَعِيمِهَا فَغَمَضْ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ
 وَأَنْشَدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

إِذَا مَا أَعْتَزَّ ذُو عِلْمٍ بِعِلْمٍ فَعِلْمُ الْفَقْهِ أَوْلَى بِاعْتِرَازِ
 فَكَمْ طِيبٌ يَفُوحٌ وَلَا كَمْسِكِ وَكَمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كِبَازِي (٣)

حسنات من مات عاصيا ، فترجع حسناته على سيئاته فيغفر له الله ويعفو عنه .
 والدرك جمع دركة وهي المنزلة . فهي في الهبوط تقابل الدرجة في الصعود .
 والعواقب جمع عاقبة وهي النهاية ، وشر بالجر صفة لليران .

(١) رامه : طلبه ، والمأرب جمع مأرب : الغرض والمطلب .

(٢) المنصب بفتح الميم والصاد : المقام . الحجا : العقل ، هان بفوت المناصب اعتبر
 فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرا هينا لا يؤثر له ولا يتم به .

(٣) يفوح : ينتشر . والبيت يتضمن مثلين سائرين يضرب كل منهما لبيان فضل
 الشيء وغيره أفضل منه : فكَمْ طِيبٌ يَفُوحٌ وَلَا كَمْسِكِ أَي أن الطيب الذي تنتشر
 رائحته وتعطر الجو كثير ولذاته في طيب رائحته وجمال شذاه ليس كالمسك لأن
 المسك أطيب منه وأزكى ، وكذلك وكم طائر يطير ولا كِبَازِي : معناه أن البازي
 أقوى الطيور كلها وأشدّها طيرانا

وَأَنْشَدْتُ أَيْضًا :

الْفَقْهَ أَنْفَسَ شَيْءٌ أَنْتَ دَاخِرُهُ مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرُهُ (١)
فَاكْتَسَبَ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحَتْ بِجَهْلِهِ فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالُ وَآخِرُهُ

وَكَفَى بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ دَاعِيًا وَبَاعِثًا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَقَدْ تَوَلَّدَ
الْكَسَلُ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ تَقْلِيلُ الطَّعَامِ . قِيلَ :
اتَّفَقَ سَبْعُونَ نَبِيًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّسِيَانِ مِنْ كَثْرَةِ
الْبَلْغَمِ وَكَثْرَةِ الْبَلْغَمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ؛ وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ
الْأَكْلِ ، وَالْخُبْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَمَ ، وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّيْبِ عَلَى الرِّيقِ ،
وَلَا يَكْثُرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيَزِيدُ الْبَلْغَمَ ، وَالسَّوَالِكُ يَقْلِلُ
الْبَلْغَمَ وَيَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالْفَصَاحَةِ ، فَإِنَّهُ سَنَةٌ سَنِيَّةٌ ، وَيَزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَكَذَلِكَ الْقِيءُ يَقْلِلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوبَاتِ ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقا . وداخره أى مدخره ومقتصدته
من يدرس العلم أى يقرأه ، ولم تدرس مفاخره أى لم تتمتع أسباب نفعه ودواعى مجده

الْأَكْلُ التَّامِلُ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ ، وَهِيَ الصَّحَّةُ وَالْعِفَّةُ وَالْإِيثَارُ (١)
وَقَدْ قِيلَ :

فَعَارٌ ثُمَّ عَارٌ ثُمَّ عَارٌ شَقَاءُ الْمَرْءِ مَنْ أَجَلَ الطَّعَامَ (٢)

وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ يَبْغِضُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

مِنْ خَيْرِ جُرْمٍ (٣) : الْأَكُولُ وَالْبَخِيلُ وَالْمُتَكَبِّرُ » وَالتَّامِلُ (٤) فِي مَضَارِّ كَثْرَةِ

الْأَكْلِ وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَالَالَةُ الطَّبْعِ . قِيلَ : الْبُطْنَةُ تَذِيبُ الْفِطْنَةَ (٥)

(حِكْمِي) عَنْ جَالِينُوسٍ أَنَّهُ قَالَ : الرُّمَانُ نَفْعٌ كُلُّهُ ، وَالسَّمَكُ ضَرَرٌ كُلُّهُ ،

(١) الإِيثَارُ : هُوَ اخْتِيَارُ مَنَفْعَةِ الْغَيْرِ وَمَصْلَحَتِهِ عِنْدَ تَعَارُضِهَا مَعَ مَنَفْعَةِ النَّفْسِ وَمَصْلَحَتِهَا ، كَمَا إِذَا كَانَ اثْنَانِ فِي حَالَةِ عَطَشٍ وَمَعَ أَحَدِهِمَا مَا يَكْفِيهِ وَحَدَهُ مِنَ الْمَاءِ فَيَقْدِمُهُ لِرَفِيقِهِ وَيَحْرُمُ مِنْهُ نَفْسَهُ

(٢) أَيْ أَنَّ الطَّعَامَ وَحَدَهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْقَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ لِأَنَّ الْقَلِيلَ مِنْهُ يَكْفِي ، وَالَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَشْقَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنْ أَجَلِهِ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ لِأَنَّهُ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ إِلَى الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ

(٣) جُرْمٌ : إِثْمٌ وَذَنْبٌ

(٤) وَالتَّامِلُ بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُ مُعْطُوفٌ عَلَى التَّامِلِ فِي مَنَافِعِ قَلَّةِ الْأَكْلِ

(٥) الْبُطْنَةُ بِكسْرِ الْبَاءِ : امْتِلَاءُ الْبَطْنِ بِالْأَكْلِ ، وَالْفِطْنَةُ بِكسْرِ الْفَاءِ :

الذِّكَاةُ وَالتِّيْقَظُ

وَقَلِيلُ السَّمَكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الرُّمَّانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِتْلَافُ الْمَالِ ، وَالْأَكْلُ
فَوْقَ الشَّيْبِ ضَرَرٌ مُحْضٌ ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَكْلُ
بَغِيضٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ تَقْلِيلِ الْأَكْلِ إِنْ يَأْكُلِ الْأَطْعِمَةَ الدَّسِيمَةَ ،
وَيَقْدَمُ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَفَ وَالْأَشْهَى (١) ، وَلَا يَأْكُلُ مَعَ الْجِيَاعِ ، إِلَّا إِذَا
كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، بَأَن يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فَلَهُ ذَلِكَ

﴿فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه﴾

كَانَ أَسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقِفُ (٢) بِدَعَاةِ
السَّبْقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرَوِي فِي ذَلِكَ حَدِيثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بَدَأَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا
وَقَدَّمَ ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرَوِي هَذَا

(١) هَكَذَا فِي الْأَصْلِ

(٢) يَقِفُ : يَحْصُرُ وَيَقْصُرُ

الْحَدِيثَ عَنْ أَسْتَاذِهِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجَلِّ قَوَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَمِعْتُ مَنْ أَثَقَ بِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يَوْسُفَ الْهَمْدَانِيَّ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَهَذَا
لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمُ خُلِقَ فِيهِ النُّورُ ، وَهُوَ يَوْمُ نَحْسٍ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ
فَيَكُونُ مُبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِينَ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السَّبْقِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكِي
عَنِ الشَّيْخِ الْقَاضِي الْإِمَامِ عُمَرَ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ الزَّرَنْجِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَّهُ قَالَ : قَالَ مَشَايِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السَّبْقِ لِلْبِتْدِي
قَدْرَ مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرَّفْقِ ، وَيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِذَا
وَأِنْ طَالَ السَّبْقُ وَكَثُرَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَيَزِيدُ بِالرَّفْقِ وَالتَّدرِجِ
فَإِذَا طَالَ السَّبْقُ فِي الْإِبْتِدَاءِ (٢) وَاحْتِاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، فَهُوَ

(١) الحق أن الأيام كلها تستوى عند الله وأن التفاؤل أو التشاؤم ببعض
الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء .

(٢) فإما إذا طال السبق في الابتداء . يعني أن طول الاستماع لا ينبغي أن

فِي الْإِتِّهَامِ أَيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْتَادُ ذَلِكَ . وَلَا يَتْرُكُ تِلْكَ الْعَادَةَ إِلَّا
بِجَهْدٍ كَثِيرٍ ، وَقَدْ قِيلَ : السَّبْقُ حَرْفٌ ، وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ (١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْتَدِئَ
بِشَيْءٍ يَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ
الْعَقِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مُشَاطُنَا
رَحِمَهُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبِتْدِئِ صَغَارَاتِ الْمَبْسُوطِ (٢) ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ
إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ وَأَكْثَرُ وَقُوعًا بَيْنَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يَعْلُقَ السَّبْقَ بَعْدَ الضَّبْطِ (٣) وَالْإِعَادَةُ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا ، وَلَا يَكْتَسِبُ
الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ كَلَالَةَ الطَّبْعِ ، وَيَذْهَبُ الْفِطْنَةُ وَيَضِيعُ
أَوْقَاتُهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأَسْتَاذِ ، أَوْ بِالتَّامُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ

يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَعَادَ الْبَيَانَ وَالشَّرْحَ مَرَّتَيْنِ فِي الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ ، أَمَّا إِذَا زَادَ عَنْ
ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَعْتَادُ طَوْلَ الْإِسْتِمَاعِ وَتَكَرُّرَ الشَّرْحِ فَيَطْوُ فَهْمُهُ وَيَتَبَدَّلُ عَقْلُهُ
(١) السَّبْقُ حَرْفٌ وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ أَيُّ تَعْلَمُ قَلِيلًا وَكَرَّرَ مَا تَعَلَّمْتَهُ كَثِيرًا .
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : قِرَاءَةُ كِتَابٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ أَنْفَعُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً .
(٢) يَعْنِي الْكِتَابَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَتَضَمَّنُ خِلَاصَاتِ الْكِتَابِ الْمَطُولَةِ .
(٣) تَعْلِيقُ السَّبْقِ : كِتَابَةُ خِلَاصَةِ الدَّرْسِ وَهُوَ مَا يُسَمَّى الْآنَ «بِالْمُلَخَّصِ السَّبُورِيِّ»

التَّكْرَارُ ، فَإِنَّهُ إِذَا قَلَّ السَّبْقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالتَّامُّلُ يَدْرُكُ وَيَفْهَمُ ، فَقَدْ
 قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وَقَرَيْنِ ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ
 وَقَرَيْنِ (١) وَإِذَا تَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَعْتَادَ ذَلِكَ ، فَلَا يَفْهَمُ
 الْكَلَامَ الْيَسِيرَ ، فَيَنْبَغِي إِلَّا يَتَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدُ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى
 وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ يَجِيبُ مِنْ دَعَاةُ ، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ ، أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ
 الْإِمَامُ الْأَجَلُّ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الصَّفَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى إِمْلَاءً لِلْقَاضِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّجَزِيِّ (٢) فِي ذَلِكَ :

أَخْدُمُ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيدِ	وَأَدِمُ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَمِيدِ
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعِدْهُ	ثُمَّ أَكْثَرْهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ
ثُمَّ عَاقِبْهُ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ	وَالِي دَرْسَهُ عَلَى التَّايِيدِ
وَإِذَا مَا أَمَنْتَ مِنْهُ فَوَاتَا	فَانْتَدِبْ بَعْدَهُ لَشَيْءٍ جَدِيدِ (٣)

(١) وقرين مثني وقر بكسر الواو : الحمل الثقيل .

(٢) في بعض النسخ : السرخسي (٣) فانتدب : سارع ، أى كلما توثقت

من فهم شيء وحفظه وأمنت من نسيانه ، بادر إلى تعلم غيره

مَعَ تَكَرَّرِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ اِعْتِنَاءً بِشَأْنِ هَذَا الْمَزِيدِ
 ذَا كَرِ النَّاسِ بِالْعُلُومِ لِنَحْيَا لَا تَكُنْ مِنَ أُولَى النَّهْيِ بِبَعِيدِ
 إِنْ كَتَمْتَ الْعُلُومَ انْسَيْتَ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيدِ
 ثُمَّ الْجَمْتُ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّبَتْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (١)
 وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُدَاكِرَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ
 يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالتَّائِي وَالتَّامِلِ ، وَيَتَحَرَّزَ عَنِ الشَّغْبِ وَالْغَضَبِ ، فَإِنْ
 الْمُنَاطَرَةُ وَالْمُدَاكِرَةُ مُشَاوَرَةٌ ، وَالْمُشَاوَرَةُ إِمَّا تَكُونُ لِاسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ
 وَذَلِكَ إِمَّا يَحْصُلُ بِالتَّامِلِ وَالتَّائِي وَالْإِنْصَافِ ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْغَضَبِ
 وَالشَّغْبِ ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ إِزَامُ الْخُصْمِ فَلَا تَحِلُّ الْمُنَاطَرَةُ ، وَإِمَّا تَحِلُّ
 لِإِظْهَارِ الْحَقِّ . وَالتَّمْوِيهِ وَالْحِيلَةِ فِيهَا لَا تَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخُصْمُ مُتَعَتِّيًا
 لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ

(١) فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ عِلْمٌ عَلِيًّا
 فَكُتِمَهُ : أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا آتَى
 اللَّهُ أَحَدًا عَلِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِثَاقَ أَلَّا يَكْتُمَهُ أَحَدًا »

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الْأَشْكَالُ وَلَمْ يَحْضُرْهُ
الْجَوَابُ يَقُولُ : مَا الزَّمْتُه لَازِمٌ ، وَأَنَا فِيهِ نَاطِرٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .
وَفَائِدَةُ الْمُنَاطَرَةِ أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرَارِ ، لِأَنَّ فِيهَا تَكَرُّارًا
وَزِيَادَةً فَقَدْ قِيلَ : مُنَاطَرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكَرُّارِ شَهْرٍ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَ
مَعَ مُنْصِفِ سَالِمِ الطَّبِيعَةِ . وَإِيَّاكَ وَالْمُذَاكَرَةَ مَعَ مُتَعَنِّتٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمِ الطَّبْعِ
فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَسَرِّبَةً ، وَالْإِخْلَاقَ مُتَعَدِّدَةً ، وَالْمُجَاوِرَةَ مُؤَثِّرَةً . وَفِي الشَّعْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوَائِدَ كَثِيرَةً وَقَدْ قِيلَ :

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ
وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَمَلِّدًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي دَقَائِقِ (١)
الْعُلُومِ وَيَعْتَادَ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا تَدْرِكُ الدَّقَائِقُ بِالتَّامُّلِ ، وَلِهَذَا قِيلَ : تَامَلْ تَدْرِكُ
وَلَا بَدَّ مِنَ التَّامُّلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ

فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْوِيهِهِ (١) بِالتَّامُّلِ قَبْلَ الرَّمْيِ حَتَّى يَكُونَ مُصَيِّبًا ، قَالَ فِي أُصُولِ
 الْفَقْهِ : هَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاطَرِ بِالتَّامُّلِ .
 وَقِيلَ : رَأْسُ الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِالتَّثَبُّتِ وَالتَّامُّلِ . قَالَ الْقَائِلُ :
 أَوْصِيكَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمَوْصِي الشَّفِيقِ مُطِيعًا
 لَا تُخَفِّضَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَمَّ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا (٢)
 وَيَكُونَ مُسْتَفِيدًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ .
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا
 أَخَذَهَا ، وَقِيلَ : خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدُرَ . وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَسْتَاذَ
 نَحْرَ الدِّينِ الْكَاشَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : كَانَتْ جَارِيَةُ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ
 اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ : هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا

(١) تقويمه : تسديده وتصويبه نحو الهدف

(٢) الكيف : أى طريقة إلقاء الكلام : من خفض الصوت ورفعها ، ومن
 هدوء ولطف أو شدة وعنف ، والكم : المقدار من إيجاز أو إسهاب ، حسب
 مقتضى الحال .

الْوَقْتِ مِنْ أَبِي يُوسُفَ فِي الْفَقْهِ شَيْئًا ، قَالَتْ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُكْرَرُ
وَيَقُولُ سَهْمُ الدَّورِ (١) سَاقِطٌ . فَحَفِظَ ذَلِكَ مِنْهَا ، وَكَانَتْ الْمَسْئَلَةُ مُشْكَلَةً
عَلَى مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . فَارْتَفَعَ إِشْكَالُهُ بِهَذِهِ السَّكَلَةِ فَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ
مُمَكِّنَةٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قِيلَ لَهُ : بِمِ
أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : مَا اسْتَنْسَكِفْتُ مِنَ الْإِسْتِفَادَةِ وَمَا بَحَلْتُ بِالْإِفَادَةِ .
قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا : بِمِ أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : بِلِسَانِ
سُؤْلِ ، وَقَلْبِ عَقُولٍ . وَإِنَّمَا سَمِيَ طَالِبُ الْعِلْمِ : مَا تَقُولُ ، لِكَثْرَةِ مَا كَانُوا
يَقُولُونَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ : « مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؟ » ، وَإِنَّمَا تَفَقَّهَ
أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُذَاكَّرَةِ فِي دُكَّانِهِ حِينَ كَانَ
بَزَازًا (٢) ، وَبِهَذَا يَعْلَمُ أَنَّ تَحْصِيلَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ يَجْتَمِعُ مَعَ الْكَسْبِ وَكَانَ
أَبُو حَنِيفَةَ الْكَبِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَكْتَسِبُ وَيُكْرَرُ . فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ

(١) سهم الدور ساقط : أى السهم الدائر يسقط ولا يحسب . وهو خاص

بمسألة فقهية مشهورة فى الميراث

(٢) البزاز : بائع الثياب والمنسوجات

مَنْ الْكَسْبِ لِنَفْقَةِ عِيَالِهِ وَغَيْرِهِمْ فَلْيَكْتَسِبْ وَلْيَكْرُرْ وَلْيُذَاكِرْ وَلَا يَكْسَلْ
وَلَيْسَ لِصَحِيحِ الْبَدَنِ وَالْعَقْلِ عَذْرٌ فِي تَرْكِ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَفْقَرُ
مَنْ أَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ
كَثِيرٌ فَنَعِمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ الْمُنْصَرِفِ فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ . قِيلَ
لِعَالِمٍ : يَمُ أَدْرَكَتِ الْعِلْمُ ؟ قَالَ : بَابُ غِنَى ، لِأَنَّهُ كَانَ يَصْطَنِعُ بِهِ ^(١) أَهْلَ
الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ فَإِنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ الْعِلْمِ لِأَنَّهُ شَكَرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ، وَهُوَ
سَبَبُ ^(٢) الزِّيَادَةِ ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَدْرَكَتِ الْعِلْمُ بِالْحَمْدِ
وَالشُّكْرِ فَكَلِمًا فَهَمَّتْ شَيْئًا مِنَ الْعُلُومِ وَوَقَفَتْ عَلَى فَقْهِ وَحِكْمَةٍ قُلْتُ الْحَمْدُ لِلَّهِ
تَعَالَى ، فَازْدَادَ عَلَيَّ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِالشُّكْرِ بِاللِّسَانِ
وَالْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَالِ ، وَيَرَى الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَيَطْلُبُ الْهُدَايَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادٍ مَنْ

(١) يصطنع به أهل العلم : يبرهم ويحسن إليهم

(٢) وهو سبب الزيادة : أي والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى : « لئن

شكرتم لأزيدنكم »

استهداه ، فاهل الحق وهم اهل السنة والجماعة طلبوا الحق من الله تعالى ،
 الحق المبين الهادي العاصم ، فهداهم الله تعالى وعصمهم عن الضلالة ، واهل
 الضلالة اعجبوا (١) برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز ، وهو
 العقل ، لأن العقل لا يدرك جميع الأشياء ، كالبصر لا يبصر جميع الأشياء
 فاجبوا ، وعجزوا وضلوا واضلوا ، قال صلى الله عليه وآله وسلم « من عرف
 نفسه عرف ربه » فإذا عرف عجز نفسه عرف قدرة الله تعالى عز وجل ،
 ولا يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكل على الله تعالى ويطلب الحق منه ،
 ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٢) ويهديه إلى صراط مستقيم . ومن كان
 له مال فلا يبخل . وينبغي أن يتعوذ بالله تعالى من البخل قال النبي عليه
 الصلاة والسلام : أي داء أدوا من البخل ! وكان أبو الشيخ الإمام الاجل
 شمس الأئمة الحلواني رحمه الله تعالى فقيرا ، يبيع الحلواء ، وكان يعطي

(١) أعجبوا برأيهم : فرسخوا به وسروا منه

(٢) حسبه : كافيه . وهذا اقتباس من القرآن

الْفُقَهَاءَ مِنَ الْحُلَوتِ وَيَقُولُ : ادْعُوا ابْنِي أَفْبَرْكَهُ جُودُهُ وَأَعْتَقَادُهُ وَتَضَرُّعُهُ
 نَالَ ابْنَهُ مَانَالًا ، وَيَشْتَرِي بِالْمَسَالِ الْكُتُبَ ، وَيَسْتَكْتِبُ فِيكَوْنُ عَوْنًا عَلَى
 التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَالًا كَثِيرًا ، حَتَّى كَانَ
 لَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنَ الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِهِ ، فَاتَّفَقَهُ كُلُّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ثَوْبٌ
 نَفِيسٌ ، فَرَأَاهُ أَبُو يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ثَوْبٍ خَلَقَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ثِيَابًا
 نَفِيسَةً ، فَلَمْ يَقْبَلْهَا وَقَالَ : عَجَلَ لَكُمْ وَأَجَلَ لَنَا

وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَقْبَلْهَا وَإِنْ كَانَ قَبُولُ الْهَدِيَّةِ سُنَّةً ، لِمَا رَأَى أَنْ فِي ذَلِكَ
 مَذَلَّةٌ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَذِلَّ نَفْسَهُ»
 وَحَكَى أَنَّ الشَّيْخَ نَحْرَ الْإِسْلَامِ الْأَرَسَابِنْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَعَ قَشُورَ الْبَطِيخِ
 الْمُنْمَاةَ فِي مَكَانٍ خَالَ فَعَسَلَهَا وَأَكَلَهَا فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مَوْلَاهَا ،
 فَاتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً وَدَعَاهُ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ لِهَذَا (١) ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ
 أَنْ يَكُونَ ذَاهِمَةً عَالِيَةً لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) اتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً : أَيِ أَعَدَ لَهُ طَعَامًا . لِهَذَا : أَيِ لثَلَا يَذِلَّ نَفْسَهُ

عليه وسلم : «إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ» (١) ،

وَلَا يَبْخُلُ بِمَاعْتَدُهُ مِنَ الْمَالِ : بَلْ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ : وَقَالَ
النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي فَقْرٍ» (٢) ، وَكَانُوا
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرْفَةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ
النَّاسِ ؛ وَفِي الْحِكْمَةِ : مَنْ اسْتَغْنَى بِمَالِ النَّاسِ اقْتَرَفَ ؛ وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا
لَمْ تَبْقَ لَهُ حَرَمَةُ الْعِلْمِ ؛ وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ ؛ وَلِهَذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الشَّرْعِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ : «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبْعٍ» (٣) ، وَيَذْهَبُ
لِلْمُؤْمِنِ إِلَّا يَرْجُو إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ
بِمَجَاوِزَةِ حَدِّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا ، فَمَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْخُلُوقِ فَقَدْ

(١) إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ إِيَّاكَ : يَعْنِي أَنَّ الْمَرْءَ إِنَّمَا يَطْمَعُ لَخَوْفِهِ مِنْ فَقْرٍ مُتَوَقَّعٍ
وَالطَّمَعَ فَقْرٌ حَاضِرٌ فَهُوَ يُلْجَأُ إِلَى الْفَقْرِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ ، كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ
الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

(٢) النَّاسُ ... إِيَّاكَ : تَنْسَبُ هَذِهِ الْحِكْمَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ

(٣) الطَّمَعُ بِكُسْرِ الطَّاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ : الدَّنَسُ وَالْعَيْبُ

خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِذَا لَمْ يَعِصِ اللَّهُ تَعَالَى الْخَوْفِ الْمَخْلُوقِ وَرَاقِبَ حُدُودَ الشَّرْعِ ؛ فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ خَافَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَذَلِكَ فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ (١) وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْدُو وَيَقْدِرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكْرَارِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ

وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكْرِّرَ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، وَالسَّبْقَ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَالَّذِي قَبْلَهُ اثْنَيْنِ ، وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَهَذَا ادْعَى إِلَى الْحِفْظِ ، وَيَنْبَغِي الْأَيْعَادَ الْمُخَافَتَةَ فِي التَّكْرَارِ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَا بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَلَا يَجْهَرُ جَهْرًا يَجْهَدُ نَفْسَهُ كَيْلًا يَنْقَطِعَ عَنِ التَّكْرَارِ ، نَحِيرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

حُكِيَ أَنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يُذَكِّرُ الْفَقْهَ مَعَ الْفُقَهَاءِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَكَانَ صَهِرُهُ عِنْدَهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ

(١) يعني إذا لم يعص الله رجاء الله لم يرج غير الله

منذ خمسة أيام ، ومع ذلك يُناظر بقوة ونشاط . وينبغي ألا يكون لطالب العلم فترة (١) فإنها آفة ، وكان استاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله تعالى يقول : إنما فقت شر كافي بأنني لم تنفع لي الفترة في التحصيل . وكان يحكي عن شيخ الإسلام الأسديجاني أنه وقع له في زمان تحصيله وتعلمه فترة اثنتي عشرة سنة بانقلاب الملك ، فخرج مع شريكه في المناظرة إلى حيث يمكنهما الاستمرار في طلب العلم ، وظلا يدرسانه معاً اثنتي عشرة سنة ، فصار شريكه شيخ الإسلام للشافعيين ، وكان هو شافعيًا ، وكان استاذنا الشيخ القاضي الإمام نور الإسلام قاضيخان يقول : ينبغي للمتفقه أن يحفظ كتاباً واحداً من كتب الفقه دائماً ليتيسر له بعد ذلك حفظ ما يسمع من الفقه

(١) الفترة : العطلة ، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا

المذاكرة أثناء عطلة الصيف

﴿فصل في التوكل﴾

سَمَّ لَا يَدُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِ الرِّزْقِ
وَلَا يَشْغُلُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ . رَوَى أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ
الزَّيْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَفَقَّهَ
فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هَمَّهُ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » فَإِنْ مِنْ اشْتَغَلَ
قَلْبُهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقَوَاتِ وَالْكُسُوفِ ، قَلْبًا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ . قِيلَ .

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ السَّكَاسِي (١)
قَالَ رَجُلٌ لِمَنْصُورٍ الْخَلَّاجِ : أَوْصِنِي ! فَقَالَ : هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا
شَغَلَتْكَ ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا تَشْغَلَ

(١) يسخر الشاعر من مخاطبه بهذا البيت ويحقره لأنه يقول له : إنك
لا تستطيع الجري في مجال المكارم والمحامد ، لأن همك محصور في السعي وراء
الطعام والكسوة

ويقصد المصنف باستشهاده بهذا البيت أن يؤيد ما يقوله من أن من اشتغل
قلبه بتحصيل الرزق قلما يفكر في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور

بهواها ، ولا يهتم العاقل لأمر الدنيا لأن الهم والحزن لا يرد المصيبة ولا ينفع
 بل يضرب القلب والعقل والبدن ، ويخل بأعمال الخير ، ويهتم لأمر الآخرة
 لأنه ينفع . وأما قوله عليه السلام إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا هم
 المعيشة . فالمراد منه قدرهم لا يخل بأعمال الخير ولا يشغل القلب شغلا
 يخل بإحضار القلب في الصلاة ، فإن ذلك القدر من الهم والقصد من أعمال
 الآخرة . ولابد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع ،
 ولهذا اختاروا العربة ، ولابد من تحمل النصب والمشقة في سفر التعلم كما
 قال موسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه في سفر التعلم ، ولم ينقل
 عنه ذلك في غيره من الأسفار : « لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » ليعلم أن
 سفر العلم لا يخلو من التعب ، لأن العلم امر عظيم ، وهو افضل من الجهاد
 عند أكثر العلماء ، والأجر على قدر التعب والنصب ، فمن صبر على ذلك
 وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا ، ولهذا كان محمد بن الحسن إذا سهر الليالي
 وأحلت له المشكلات يقول : أين أبناء الملوك من هذه اللذات ؟

وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَّا يَشْتَغَلَ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ
الْفَقْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ صِنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمُهْدِ إِلَى
الْمُحَدِّ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرَكَ عَلَيْنَا هَذَا سَاعَةً فَلْيَتْرَكْ السَّاعَةَ (١)

وَدَخَلَ فَقِيهَهُ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ مُوتَهُ وَهُوَ بِجُودٍ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ : رَمَى الْجَمَارَ رَاكِبًا أَفْضَلَ أَمْ رَاكِبًا ؟ فَلَمْ يَعْرِفِ
الْجَوَابَ ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ . وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ فِي جَمِيعِ
أَوْقَاتِهِ حَتَّى يَجِدَ لَذَّةَ عَظِيمَةٍ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ : رَأَى مُحَمَّدٌ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزْعِ ؟ فَقَالَ كُنْتُ مُتَمَامًا فِي مَسْئَلَةٍ مِنْ
مَسَائِلِ الْمَكَاتِبِ (٢) فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرُوجِ رُوحِي ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

- (١) فليتركه الساعة : يريد أن من شرع في تعلم الفقه وهو ينوي أن يترك
الاشتغال به في وقت من الأوقات كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه
مزعزعاً . ومن شرع في عمل شيء وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم
لا ينجزه ولا يبلغ منه شيئاً ، لا سيما إذا كان عظيم الشأن جليل القدر كعلم الفقه ،
وإذن فينبغي له أن يترك الاشتغال به لأنه حينئذ غير منتج وعبث باطل
- (٢) محمد : هو محمد بن الحسن . والمكاتيب بضم الكاف اسم المفعول : هو العبد

عمره : شَغَلَتْنِي مَسَائِلُ الْمَكَاتِبِ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ ، وَإِنَّمَا قَالَ
ذَلِكَ تَوَاضِعًا

﴿ فصل في وقت التحصيل ﴾

قيل : وَقْتُ التَّعَلُّمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ شَرْحُ
الشَّبَابِ (١) وَقْتُ السَّحَرِ ، وَمَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ
وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَفْرِقَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ، فَإِذَا مَلَ مِنْ عِلْمٍ يَشْتَغِلُ
بِعِلْمٍ آخَرَ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا مَلَ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ
يَقُولُ : هَاتُوا دِيْوَانَ الشُّعْرَاءِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَكَانَ
يَضَعُ عِنْدَهُ الدَّفَاتِرَ ، وَكَانَ إِذَا مَلَ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ فِي نَوْعٍ آخَرَ

﴿ فصل في الشفقة والنصيحة ﴾

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْعِلْمِ مُشْفِقًا نَاصِحًا غَيْرَ حَاسِدٍ فَالْحَسَدُ يَضُرُّ

الَّذِي تَعَاوَدَ مَعَ سَيِّدِهِ أَنْ يَتَّقَهُ لِيُظَيِّرَ مَبْلَغَ مِنَ الْمَالِ مُؤَجَّلَ يَصِيرُ حَرًا بِمَهْدِ
سَدَادِهِ لِسَيِّدِهِ

(١) شرح الشباب : أوله والسحر . قبيل الصبح . والعشاءان : المغرب والعشاء

وَلَا يَنْفَعُ ، وَكَانَ اسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بَرْهَانَ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِنَّ
 ابْنَ الْمُعَلِّمِ يَكُونُ عَالِمًا ، لِأَنَّ الْمُعَلِّمَ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ تَلَامِيذُهُ عُلَمَاءَ ، فَبِبَرَكَةِ
 اعْتِقَادِهِ وَشَفَقَتِهِ يَكُونُ ابْنُهُ عَالِمًا ، وَكَانَ يُحْكِي أَنَّ الصَّدْرَ الْأَجَلَ بَرْهَانَ
 الْأُئِمَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ جَعَلَ وَقْتُ السَّبْقِ لِابْنِهِ الصَّدْرِ الشَّهِيدِ حُسَامِ الدِّينِ
 وَالصَّدْرِ السَّعِيدِ تَاجِ الدِّينِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَقْتُ الْمَضْحُورَةِ الْكُبْرَى ،
 بَعْدَ جَمِيعِ الْأَسْبَاقِ وَكَانَا يَقُولَانِ : طَبِيعَتُنَا تَكُلُّ وَتَمَلُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ،
 فَقَالَ أَبُوهُمَا إِنَّ الْغُرَبَاءَ وَأَوْلَادَ الْكُبَرَاءِ يَأْتُونَنِي مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ ، فَلَا
 بَدَّ مِنْ أَنْ أَقْدِمَ أَسْبَاقَهُمْ . فَبِبَرَكَةِ شَفَقَتِهِ تَفُوقُ أَبْنَاءَهُ عَلَى أَكْثَرِ فُقَهَاءِ أَهْلِ
 الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَيَنْبَغِي الْأَيْنَاذَ أَحَدًا وَلَا يُخَاصِمُهُ لِأَنَّهُ يُضِيعُ أَوْقَاتَهُ . قِيلَ : الْحُسَيْنُ
 سَيَجْزِي بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسَيِّئُ سَتَكُفِّيهِ مَسَاوِيهِ . أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ ركن
 الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُعْرُوفُ بِإِمَامِ خَوَاهِرِ زَادَةِ الْمُفْتَى رَحِمَهُ اللَّهُ
 قَالَ أَنْشَدَنِي سَاطِطَانِ الشَّرِيعَةِ يَوْسُفُ الْهَمْدَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَا تَحْزَنْ إِنَّمَا عَلَىٰ سُوءِ فِعْلِهِ سَيِّئُ كُفَيْهِ مَا فِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ
 وَقِيلَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغِمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ فَلْيَكْرَرْ هَذَا الشَّعْرَ . وَانْشَدَتْ :
 إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَىٰ عَدُوَّكَ رَاغِبًا وَتَقْتُلَهُ غَمًّا وَتَحْرِقَهُ هَمًّا
 فَرِّمْ لِلْعَلَا وَازِدْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عَلَمَاءِ زَادَ حَاسِدُهُ غَمًّا (١)
 وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لَا بِقَهْرِ عَدُوِّكَ ، فَإِذَا قُتِّ بِمَصَالِحِ
 نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرُ عَدُوِّكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَاةَ فَإِنَّهَا تَفْضَحُكَ وَتُضِيعُ
 أَوْقَاتَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالتَّحَمُّلِ ، لَا سِيَّمَا مِنَ السُّفَهَاءِ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ : احْتَمَلُوا مِنَ السُّفِيهِ وَاحِدَةً كَيَّ تَرْجَحُوا عَشْرًا .
 وَانْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرَ غَيْرَ خِتَالٍ وَقَالِي (٢)
 وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

(١) رم للعلا : اطلب العلا ، فعل أمر من رام الشيء : طلبه

(٢) ختال : مخادع . قالى : كاره ، من قلاه يقلبه إذا كرهه

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرَّ مِنْ السُّؤَالِ
وَأَيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ نَشَأُ الْعِدَاوَةَ وَلَا يَحِلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « ظَنُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا » وَإِنَّمَا يَنْشَأُ ذَلِكَ مِنْ
خُبْثِ النِّيَّةِ وَسُوءِ السَّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا سَاءَ فَعَلَ الْمَرْءُ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِهِ (١)
وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ عِدَاتِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلَمٌ (٢)
وَأَنْشِدْتُ لِبَعْضِهِمْ :

تَنَحَّ عَنِ الْقَبِيحِ وَلَا تُرِدْهُ وَهَنْ أَوْلِيَّتِهِ حَسَنًا فَرِدْهُ
سَتُكْفِي مِنْ عَدُوِّكَ كُلِّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تَكِدْهُ
وَأَنْشِدْتُ لِلشَّيْخِ الْعَمِيدِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ذَوِ الْعَقْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسُومُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَاتًا (٣)

(١) يعتاده : يتأبّه ويرتدّ على ذهنه من خواطر وأوهام

(٢) العداة بضم العين جمع العادي : وهو العدو

(٣) الاعنات : الإخراج من أعتته إذا أخرجته وأوقعه فيما لا يستطيع

الخروج منه

فَلْيَخْتَرْ السَّلْمَ عَلَى حَرْبِهِ وَلْيَأْزِمِ الْإِنْصَاتَ إِنْ صَاتَا (١)

(فصل في الاستفادة)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ

وَطَرِيقُ الْأُسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَجْبُورَةٌ حَتَّى يَكْتُبَ

مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَائِدِ ، فَقَدْ قِيلَ : مَنْ حَفِظَ فَرَّ ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَّ (٢)

وَقِيلَ : الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنَ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ

وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْأَسَازِينَ

الْإِسْلَامَ الْمَعْرُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ : قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ : رَأَيْتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَعَدَلِي مَا قُلْتَ لَهُمْ . فَقَالَ لِي : هَلْ مَعَكَ مَجْبُورَةٌ ؟ فَقُلْتُ مَا مَعِيَ مَجْبُورَةٌ . فَقَالَ

(١) الانصات : الاستماع ، ويريد به السكوت ، إن صاتا : أى إن أحدث

صوتا وصاح ، فالانصت فيه للاشباع

(٢) من حفظ فر : أى من حفظ شيئا فر منه ما حفظه ، ومن كتب

شيئا استقر وسكن عنده ما كتبه

يَاهَلَالُ ، لَا تُفَارِقِ الْمُحْبَرَةَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَوَصَّى
الصدر الشهيد حسام الدين ابنه شمس الدين أن يحفظ كل يوم شيئاً يسيراً
مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيراً ، وَاشْتَرَى عَصَامُ بْنُ يُونُسَ
قَلَمًا بِدِينَارٍ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ ، فَأَلْعَمَرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ .
فَيَنْبَغِي الْأَيْضَ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ ، وَيَغْتَنِمَ اللَّيَالِيَ وَالْخُلُوتِ . عَنْ يَحْيَى
ابْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تُقْصِرْهُ بِمَنَامِكَ ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ
فَلَا تُكْذِرْهُ بِأَثَامِكَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنِمَ الشَّيْخُ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ
مَآفَاتٍ يُدْرِكُ ، كَمَا قَالَ اسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : هُمْ كَمِ مَنْ
شَيْخٌ كَبِيرٌ أَدْرَكَتْهُ وَمَا اسْتَخْبَرْتَهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُنْشِئًا هَذَا الْبَيْتَ :

لَهْفِي عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِ لَهْفًا مَا كُلُّ مَآفَاتٍ وَيَفْنَى يُلْفِي (١)

قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَسَكُنْ فِيهِ (٢) . وَكَفَى
بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خِزْيًا وَخَسَارًا ، وَاسْتَعْذُ بِاللَّهِ مِنْهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ،

(١) يافى : يوجد (٢) يعنى إذا كنت فى طالب أمر فتفرغ له واجتهد فى تحصيله

وَلَا بُدَّ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمِيلِ الْمَشَقَّةِ وَالْمَذَلَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَالتَّمَلُّقِ مِنْهُمْ
إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّمَلُّقِ لِلْأَسْتَاذِ وَالشَّرَكَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلْإِسْتِفَادَةِ
مِنْهُمْ ، قِيلَ : الْعِلْمُ عَزْلًا ذَلَّ فِيهِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِذُلٍّ لَاعَزَّ فِيهِ ، وَقَالَ الْقَائِلُ :
أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَهِي أَنْ تُعْزَّهَا فَلَسْتُ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذِلَّهَا

﴿فصل في الورع في حالة التعلم﴾

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعَلُّمِهِ ابْتِلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ :
إِمَّا أَنْ يُمِيتَهُ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوقِعَهُ فِي الرِّسَالَتِيقِ (١) أَوْ يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ »
فَهُمَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعًا ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْفَعُ ، وَالتَّعَلُّمُ لَهُ أَيْسَرُ ، وَفَوَائِدُهُ
أَكْثَرُ . وَمِنْ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الشَّبَعِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ ، وَكَثْرَةِ
الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أَمَكَنَ لِأَنَّ

(١) الرِّسَالَتِيقُ جمع رِستاق : وهو الريف والقرى . والظاهر أن هذا

طَعَامَ السُّوقِ أَقْرَبُ لِلنَّجَاسَةِ وَالْخِيَانَةِ ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُ إِلَى
الْغَفْلَةِ ، وَلَٰنَ أَبْصَارَ الْفُقَرَاءِ تَقَعُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّرَاحِ مِنْهُ فَيَتَاذَنُونَ
بِذَلِكَ فَتَذْهَبُ بَرَكَتُهُ

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ فِي حَالٍ
تَعَلَّمَهُ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرِّسْتَاقِ وَيَهْجِي لَهُ
طَعَامَهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَرَأَى فِي بَيْتِ ابْنِهِ خَبْزَ السُّوقِ يَوْمَ مَا فَلَمَّ
يَكْلُمُهُ سَاخِطًا عَلَيْهِ ، فَاعْتَذَرَ ابْنُهُ وَقَالَ : مَا اشْتَرَيْتَهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ ، وَلَكِنْ
أَحْضَرَهُ شَرِيكِي . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَجْتَرِئِ
شَرِيكَكَ عَلَى ذَلِكَ ، وَهَسَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ ، فَلِذَلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّشْرِ
حَتَّى بَقِيَ أَسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَوَصَّى فَقِيهٌ مِنْ زُهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبَ عِلْمٍ
فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الْغِيْبَةِ وَعَنْ بُجَالِسَةِ الْمُكْثَارِ (١) ، وَقَالَ
إِنَّ مَنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ يَسْرِقُ عُمُرَكَ ، وَيُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنْ

يَحْتَنِبُ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي وَالتَّعْطِيلِ وَيُجَاوِرُ الصُّلَحَاءَ فَإِنَّ الْمُجَاوِرَةَ مُؤَثَّرَةٌ
لِلْأَحْيَالَةِ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَيَكُونُ مُسْتَنًا (١) بِسُنَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيَغْتَنِمَ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيَحْتَرِزَ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُومِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغُرَبَةِ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ،
فَرَجَعَا بَعْدَ سَنِينَ إِلَى بِلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَّهَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهَ الْآخَرُ، فَتَأَمَّلَ فَقَهَاءُ
الْبِلَدَةِ وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَ هُمَا وَجُلُوسُهُمَا فَاخْتَبَرُوا أَنْ يَجْلُوسَ الَّذِي
تَفَقَّهَ فِي حَالِ التَّكَرُّارِ كَانَ مُسْتَقْبِلًا الْقِبْلَةَ وَالْمُضَرَ (٢) الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمُ فِيهِ
وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدْبِرًا الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ إِلَى شَيْرِ الْمَضَرِّ، فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ
أَنَّ الْفَقِيهَ بِرُكْعَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ إِذْ هُوَ السَّنَةُ فِي الْجُلُوسِ، إِلَّا عِنْدَ الْضُرُورَةِ
وَبِرُكْعَةِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمَضَرَ لَا يَخْلُو عَنِ الْعِبَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَالظَّاهِرُ
أَنَّ عَابِدًا مِنَ الْعِبَادِ دَعَا فِي اللَّيْلِ، فَيَنْبَغِي لَطَالِبُ الْعِلْمِ أَلَّا يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ
وَالسَّنَنِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ يُحَرِّمُ السَّنَةَ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسَّنَنِ حَرَّمَ

الْفَرَاثُضَ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَاثُضِ حُرْمَ الْآخِرَةِ

وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْثَرَ الصَّلَاةُ وَيُصَلَّى صَلَاةَ الْخَاشِعِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنٌ لَهُ

عَلَى التَّحْصِيلِ وَالتَّعَلُّمِ

أَشْهَدُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الرَّاهِدِ الْحَجَّاجِ نَجْمِ الدِّينِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسَبِيِّ :

كُنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَظِّبًا وَمُحَافِظًا

وَأَطْلَبَ عُلُومَ الشَّرْعِ وَاجْتَهَدَ وَاسْتَعْنَى بِالطَّبِيبَاتِ تَصَرُّقَ قَفِيهَا حَافِظًا

وَأَسْأَلُ إِلَهَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ فَإِنَّهُ خَيْرُ حَافِظٍ

وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ .

أَطِيعُوا وَاجْتَدُوا وَلَا تَكْسَلُوا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ

وَلَا تَهْجَعُوا خَيْبَارُ الْوَرَى قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصْحَبَ دَقِيقًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعَهُ ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَسْكُنْ

(١) لَا تَهْجَعُوا : لَا تَنَامُوا ، وَخَيْبَارُ : جَمْعُ خَيْرٍ بِقَشَادَةِ الْيَاءِ الْمَكْسُورَةِ وَالْوَرَى

الْخَافِقُ . وَفِي الشَّعْرِ اتِّبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ

أَلَمْ تَقْرَأْ فِي كُتُبِهِ (١) لَمْ تَتَّبِعْ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ . إِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِي الدَّقَائِرِ
وَيَاضُ لِيَكْتُبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ ، وَيَسْتَصْحِبَ الْحَبْرَةَ لِيَكْتُبَ
مَا يَسْمَعُ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَالِلِ بْنِ يَسَارٍ

﴿فصل فيما يورث الحفظ﴾

وَأَقْوَى سَبَابِ الْحِفْظِ الْجِدُّ وَالْمُواظَبَةُ وَتَقْلِيلُ الْغِذَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيْلِ ،
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ سَبَابِ الْحِفْظِ ، قِيلَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَزِيدَ لِلْحِفْظِ مِنْ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظْرًا (٢) . وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظْرًا أَفْضَلُ . وَرَأَى شَدَادُ بْنُ
حَكِيمٍ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ انْفَعَ ؟ قَالَ
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظْرًا ، وَيَقُولُ عِنْدَ رَفْعِ الْكِتَابِ : بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ كُتِبَ وَيَكْتُبُ أَبَدَ الْأَبَدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ

(١) السُّكْمُ : مَدْخُلُ الْيَدِ وَمَخْرَجُهَا مِنَ الثَّوْبِ وَالْمَرَادُ الْجَيْبُ

(٢) نَظْرًا أَيُّ تِلَاوَةٍ فِي الْمَصْحَفِ

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ (١) آمَنْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ . وَيُسَكِّرُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكَوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنْ إِلَهِي وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يَهْدِي لِمَعَاصِي
وَالسُّوَالُكُ وَشَرْبُ الْعَمَلِ وَأَكْلُ السَّكَنْدَرِ (٢) مَعَ السُّكَّرِ ، وَأَكْلُ إِحْدَى
وَشَتَّيْنِ زَبِيدَةٍ حَمْرَاءَ كُلِّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيقِ يُورِثُ الْحِفْظَ وَيَشْفِي مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يُقَالُ الْبَلْغَمُ وَالرُّطُوبَاتِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ
وَأَمَّا مَا يُورِثُ النِّسْيَانَ فَاَلْمَعَاصِي وَكَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْهَمُومُ وَالْأَحْزَانُ فِي
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةُ الْأَشْغَالِ وَالْعَلَائِقِ ، وَكُلُّ مَا يَزِيدُ فِي الْبَلْغَمِ يُورِثُ
النِّسْيَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَمَّ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَحْضُرُ

(١) مكتوبة : أى صلاة مفروضة

(٢) السكندر بضم الكاف والبدال : نوع من العلك (اللبان الذكر)

ولا ينفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة في القلب ، وهموم الآخرة لا تخلو
عن النور في القلب ، ويظهر أثره في الصلاة . وهم الدنيا يمنة عن الخير ،
وهم الآخرة يحملة عليه ، والاشتغال بالصلاة على الخشوع ، وتخصيل العلم
ينفي الهم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له :
أَعْتَنَ نَصْرُ بْنُ حَسَنٍ بِكُلِّ عِلْمٍ يَخْتَزِنُ
ذَلِكَ الَّذِي يَنْفِي الْحُزْنَ وَغَيْرَهُ لَا يُؤْتِنُ

وقال الشيخ الإمام الأجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له
سَلَامٌ عَلَى مَنْ تَيْمَنَى بِطَرْفِهَا وَلَمْعَةٌ خَدِيدَا وَلُحَّةٌ طَرْفُهَا (١)
سَبْتَنِي وَأَصْبَتَنِي قَسَاةٌ مَلِيحَةٌ تَحِيرُ الْأَوْهَامَ فِي كُنْهِ رَصْفِهَا (٢)

(١) تيمنتني : شغفتني حباً . لمعة الخدين بريقهما ونضارتهما . لحة طرفها يقال
لمح إليه بفتح الميم أي اختلاس النظر إليه ، والطرف : العين ، والمقصود هنا حسن
النظر ورشاقة الالتفات

(٢) سبتني : أسرتني . أصبتني : شاقني وأهاجت بي نشوة الصبا . الأوهام هنا
بمعنى العقول : كنه وصفها : حقيقة وصفها ، وإنما تحيرت العقول في حقيقة
وصفها لأنها انبهرت بجمالها كما تنبهر العين بضوء الشمس فلا تستطيع النظر إليها

قُلْتُ ذَرِينِي وَأَعْذِرْنِي فَإِنِّي شَغِفْتُ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشَفْتُهَا (١)
 وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتَّقَى غِنًى عَنْ غِنَاءِ الْغَنَائَاتِ وَعَرَفْتُهَا (٢)
 أَمَّا أَسْبَابُ نَسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكُلُ الْكُزْبَةِ الرُّطْبَةِ وَأَكُلُ التَّفَاحِ الْحَامِضِ
 وَالنَّظَرَ إِلَى الْمَصْأُوبِ ، وَقِرَاءَةَ لَوْحِ الْقُبُورِ ، وَالْمُرُورَ بَيْنَ قَطَارِ الْجَمَالِ ، وَإِثْقَالَ
 الْقَمْلِ الْحَيِّ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْحِجَامَةَ عَلَى نَقَرَةِ الْقَفَا ، كُلُّهَا تُورِثُ النِّسْيَانَ

(فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص)

ثُمَّ لَا بَدَ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ
 وَالصِّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَفُوا كِتَابًا
 فَأُورِدَتْ ههنا بعضها على سبيل الاختصار : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ : « لَا يَرُدُّ الْقَدَرُ إِلَّا الدَّعَاءَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرَّ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ
 لَيَحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ »

(١) ذريني : اتريني . أعذريني : اسمح لي بالتخلي عن الاشتغال بحبك

(٢) طالاب : طالب . غناء بكسر الغين : التلحين والتغنى . الغنائات :

الجميلات . العرف بفتح العين الرائحة الطيبة

ثَبَّتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حِرْمَانِ الرِّزْقِ ، خُصُوصًا
السَّكَنِيبَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْفَقْرَ ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌّ ، وَكَذَا نَوْمُ
الصُّبْحَةِ يَمْنَعُ الرِّزْقَ ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَفَقَدَ الْعِلْمَ أَيْضًا قَالَ الْقَائِلُ :

سُرُورُ النَّاسِ فِي لُبْسِ اللَّبَاسِ وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِي تَرْكِ النُّعَاسِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَكَ تَمْرٌ وَلَا تَفْعٌ وَتَحْسَبُ مِنْ هُمُرِي

وَقَالَ آخَرُ :

ثُمَّ اللَّيْلُ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرُشِدُ إِلَى كَيْفِ تَسَامِ اللَّيْلِ وَالْعَمْرِ يَنْفَدُ

وَالنَّوْمُ عَرِيَانًا ، وَالْبَوْلُ عَرِيَانًا ، وَالْأَكْلُ جُنْبًا ، وَالْأَكْلُ مُتَكِنًا عَلَى

جَنْبٍ ، وَالتَّهَاقُوتُ بِسُقْمَاظَةٍ (١) الْمَسَائِدَةِ ، وَحَرَقُ قَشْرِ الْبَصْلِ وَالشُّومِ ، وَكَنْسُ

الْبَيْتِ بِالْمُسْدِيلِ ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي اللَّيْلِ ، وَتَرْكُ الْقِمَامَةِ (٢) فِي الْبَيْتِ ،

(١) سقماظة الشيء : ما يسقط منه عادة . المسائدة : الخوان . فسقاظ المسائدة

هو فئات الخبز ونحوه (٢) القمامة الكناسنة

وَالْمَشْيُ قُدَامَ الْمَشَايِخِ وَنِدَاءُ الْأَبْوِينَ بِاسْمِهِمَا ، وَالْخِلَالُ بِكُلِّ خَشَبَةٍ (١) ،
وَعَمَلُ الْيَدِ بِالطَّيْنِ وَالتُّرَابِ ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْعَتَبَةِ ، وَالْإِتِّكَاءُ عَلَى أَحَدِ
مِصْرَاعِي الْبَابِ ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي الْمَبْرَزِ (٢) ، وَخِيَاطَةُ الثَّوْبِ عَلَى بَدَنِهِ ،
وَتَجْفِيفُ الْوَجْهِ بِالثَّوْبِ ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي الْبَيْتِ وَالتَّهَافُوتُ بِالصَّلَاةِ
وَالسُّرْعَةُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَالْإِبْتِهَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى
السُّوقِ ، وَالْإِبْطَاءُ فِي الرَّجُوعِ مِنْهُ ، وَشِرَاءُ كُسَيْرَاتِ الْخُبْزِ مِنَ الْفُقَرَاءِ
السُّوَالُ وَدَعَاءُ الشَّرْعِيِّ الْوَلَدِ ، وَتَرْكُ تَخْمِيرِ (٣) الْأَوَانِي ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ
بِالنَّفْسِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقْرَ ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْآثَارِ ، وَكَذَا السَّكَنَةُ
بِالْقَلَمِ الْمَعْقُودِ (٤) ، وَالْإِمْتِشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَسِرٍ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ
لِلْوَالِدَيْنِ ، وَالتَّعَمُّمُ قَاعِدًا ، وَالتَّسْرُولُ (٥) قَانِمًا ، وَالبَخْلُ وَالتَّقْتِيرُ وَالْإِسْرَافُ

(١) الخلال : أى تخال أسنانه بأى شئ يحده ، والواجب أن يتخال بعود

الخلال لأنه رفيع وليس منه ضرر (٢) المبرز : مكان التبرز ، المرحاض

(٣) تخمير الأواني : تنظيفها (٤) القلم المعقود : هو القلم الذى كسر ثم

ربط بشئ ليتمكن استعماله (٥) التسرول لبس السروال

وَالْكُسْلُ وَالتَّوَانِي ، وَالتَّهَؤُنُ فِي الْأُمُورِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اسْتَزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ» ،

وَالْبُكُورُ مُبَارَكٌ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ النِّعَمِ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ وَحَسَنُ الْخَطِّ

مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ ، وَطَيِّبُ الْكَلَامِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ

وَالرِّزْقِ ، وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «كَنَسُ الْقَنَاءِ ، وَغَسْلُ

الْإِنَاءِ ، مَجَابَةُ الْغَنِيِّ ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَلَابَةِ الرِّزْقِ : إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالتَّعَظُّمِ

وَالْخُشُوعِ وَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ وَسَائِرِ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَأَدَائِهَا ، وَصَلَاةُ

الضُّحَى فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيْلِ

وَقْتَ النَّوْمِ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلِكِ وَالْمُزْمِلِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالْمُ نَشْرَحُ

لَكَ ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ . وَالْمَدَاوِمَةُ عَلَى الطَّهَّارَةِ ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ

الْفَجْرِ وَالْوُتْرِ فِي الْبَيْتِ ، وَالْأَيْتُكُمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوُتْرِ ، وَلَا يَكْثُرُ

مُجَالَسَةُ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَيْتُكُمُ بِكَلَامِ لَغْوٍ غَيْرِ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ

قِيلَ : مَنْ اُشْتَغَلَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ يَفُوتَهُ مَا يَعْنِيهِ (١) قَالَ بَزْرٌ جَمِهْرٌ ؛ إِذَا رَأَيْتَ
الرَّجُلَ يَكْثُرُ الْكَلَامَ فَاسْتَيْقِنْ بِخُضُونِهِ . وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : إِذَا
تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ . وَقَالَ الْمُصَنِّفُ : اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى :

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ وَأَيُّقِنْ بِخُضُونِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثَرًا
وَقَالَ آخَرُ :

النُّطْقُ زِينٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مُكْثَرًا
مَا إِنْ يَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا (٢)
وَمِمَّا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلُّ يَوْمٍ بَعْدَ انْتِفَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ
الصَّلَاةِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ ، مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَنْ يَقُولَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ » كُلُّ يَوْمٍ
صَبَاحًا وَمَسَاءً مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلِّ يَوْمٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ
أَيْضًا ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَيَكْثُرُ مِنْ قَوْلِ :

(١) يَعْنِيهِ : يَهْمُهُ (٢) مَا إِنْ نَدِمْتُ : أَيَّ مَا نَدِمْتُ فَإِنْ زَائِدَةٌ

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً : اللَّهُمَّ اغْنِنِي بِحَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ،
 وَاكْفِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَيَقُولُ هَذَا الشَّأْنُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ : أَنْتَ اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، أَنْتَ
 اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 عَالِمُ السِّرِّ وَالْخَفِيِّ ، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
 يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ ، أَنْتَ اللَّهُ دَيَّانٌ (١) يَوْمَ الدِّينِ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنْتَ . أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ،
 أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ
 الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمَنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 وَمِمَّا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ : الْبَرُّ وَتَرْكُ الْأَذَى ، وَتَوْقِيرُ (٢) الشُّيُوخِ ، وَصِلَةُ

الرَّحِيمِ (١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيَمْسِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : سُبْحَانَ
 اللَّهِ مَلَأَ الْمِيزَانَ وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبَاحِ الرِّضَا ، وَزِنَةَ الْعَرْشِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَلَأَ الْمِيزَانَ ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ ، وَمَبَاحِ الرِّضَا ، وَزِنَةَ الْعَرْشِ
 وَأَنْ يَحْتَزَنَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرُّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ
 وَالصَّلَاةِ بِالتَّعْظِيمِ ، وَالْقِرَانِ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَحِفْظِ الصَّحَّةِ ، وَلَا بَدَأَ
 مَنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الطَّبِّ وَيَتَبَرَّكَ بِالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الطَّبِّ الَّتِي جَمَعَهَا
 الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَفْزِرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطَبِّ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّجَامِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ ،
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، عَلَى تَمَرِ الدَّهْرِ وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ آمِينَ

(١) صلة الرحم : بر الأهل والأقارب . جاء في الجامع الصغير أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ « إِنْ اللَّهُ كَتَبَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ قَبْلَ أَى يَخْلُقُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِينَ : إِنِّى أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، خَلَقْتُ الرَّحْمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِى ،
 فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَنِي وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَنِي »

كلمة عن هذا الكتاب

اطلعت على هذا الكتاب صدقة فوجدته يجمع بين دفتيه كل ما يحتاج إليه طالب العلم من نصائح وإرشادات تهديّة إلى الطريق المستقيم ، وتنبيه إلى كل ما يفسده أو يعوقه عن مواصلة السير إلى غرضه الأسمى وغايته العظمى : من تثقيف العقل ، وتهذيب النفس

وليس يخاف أن طلاب العلم في هذا الوقت محتاجون أشد الاحتياج إلى مثل هذه المجموعة الطيبة من النصائح والإرشادات لاسيما ما يتعلق منها بتهذيب النفس وتطهير الأخلاق ، لكثرة العوامل والمؤثرات التي تجعل الطالب عرضة للانحراف والميل عن الخطّة المثلى والطريق المستقيم ، حتى ضجّ المرهون والمعلمون

ومهما اتخذ من الوسائل المؤدية إلى تهذيب الطالب وتثقيفه فليس أفضل من الرغبة الصادقة ، والإرادة الصحيحة ، المنبعثة من نفسه ، والشاحذة لهمة ، والمثيرة لنشاطه ، على أثر مطالعته لمثل هذا الكتاب ، وإصغائه لما جات به ، واستماعه لوحيه ، في عزلة وانفراد

وإذا كانت هذه الغاية هي التي بعثت المؤلف إلى تأليف هذا الكتاب ، وبعثتنا إلى العناية بتصحّيح وضبطه ، وشرح ما وجدناه منه في حاجة إلى الشرح والإيضاح فهناك غاية أخرى كان لها أثر كبير في حملنا على أن نبذل جهدنا في سبيل إخراجه في هذا الثوب القشيب : وهي أنه يتضمن بعض آراء علمائنا السابقين في طرق التعليم ووسائله ، ويرينا كيف كانت آدابهم في طلب العلم ، ويمثل لنا الحالة التي كانوا عليها تمثيلاً جلياً واضحاً

عبد العزيز صقر شاهين